

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

سيرة إسلامية



أبو هريرة

تأليف النبوة النجيب

بقلم

محمد علي دوت

دار الفقه

دمشق

رَفْعُ

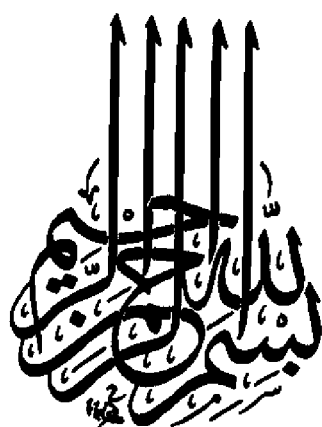
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أبو هُرَيْرَةَ
تأليف النبوة لنجيب



سیرا سلامیة



ابو هبة

تأليف الشيخ النجيب

بقلم

محمد علي دولة

الدار السامية
بيروت

دار الفلم
دمشق

الطبعة الثالثة
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم

للطباعة والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

دار الساعية

للطباعة والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الشَّابُّ الدَّوْسِيُّ

كان (عبد شمس بن صخر) غلاماً من بين مئات الغلمان في قبيلة (دَوْس) العربية، التي كانت تقطن ناحية من بلاد اليمن. كان لا يأبه له أحد، فهو يتيم فقير، مات أبوه ولمَّا يتجاوز الثانيةَ عَشْرَةَ من عمره، وتركه في حضانة أمه. وكان عدد قليل من الناس ممَّن يَعْرِفُهُ باسم (عبد شمس)، فجميع من عرفه لا يناديه إلا بـ (أبي هريرة)، فهو الاسم الذي يناديه به أهله وأقاربه، وهو الاسم الذي غلب عليه.

وكانت نفسه تطيب بهذا الاسم، فهو من ذكريات والده الذي فقدته صغيراً وحُرِمَ من عطفه، فقد كان والده كَنَاهُ بهذه الكنية، وذلك حينما رأى وَلَعَهُ بهرة برّية صغيرة، كان يحملها ويداعبها طيلة نهاره وهو يرعى الغنم، ثم يضعها في شجرة إذا جاء الليل، فإذا كان النهار التالي حملها ثانية، وهكذا.

وقد ورث أبو هريرة فيما ورث عن هذا الوالد - رغم قصر
المدة التي عاشها معه - خفة الروح، وحبّ الدعابة، وجميل
النكتة، فكان رفاقه يحبونه، ويأمنون به، ويشوقهم حديثه؛ لكنّ
يُتمّه وفقره كانا يهونان من شأنه بين أكثر الناس، ويحدّان من
طموحه وآماله.

مضى على أبي هريرة سنوات وهو يرعى الغنم، ويمضي
نهاره أجمع متجولاً في السهول والجبال والأودية، فكنّت تراه مرة
في وادٍ عميق، ومرة أخرى في ذروة جبل شاهق، وثالثة في سهلٍ
فسيح تحيط به الجبال المرتفعة.

وكان في كثير من الأحيان يخلو بنفسه، ويبتعد عن لِدَاتِهِ من
الرعاة، فتصفو نفسه، وينشط تفكيره، ويُجِلُّ النظر فيما حوله.
كان يسعده النظر في السماء ليلاً، فمنظر القمر البديع يملأ قلبه
سروراً وانشراحاً، ومنظر النجوم المتألّثة في الليالي التي يغيب
فيها القمر يدهشه ويعجبه.

وكان أشدّ ما يعجبه من تلك النجوم (سُهَيْل) الذي طالما
تغنّى بجماله أهل اليمن، وطالما أعجبهم بريق لونه وكثرة خفقانه،
حتى لكأنه كما قال الشاعر:

وَسَهِيلٌ كَوْجَنَةُ الْحَبِّ فِي اللَّو
نِ وَقَلْبِ الْمَحَبِّ فِي الْخَفَقَانِ

أما اختلاف الليل والنهار، وانتظام فصول السنة، وتعاقب
الشهور والسنين، فكان له تأثيرٌ آخر في فكره وقلبه، وكان كل ذلك
يدعوه إلى التفكير والتأمل، ويهوِّن عليه ما يعتقده قومه
في الأصنام، وما يعظّمونه من شأنها، ويجعله لا يعظّم سوى إله
السماء والأرض، الذي كان معظم العرب يؤمنون به، وبأنه هو
الذي خَلَقَ وأبدع، لكنهم يفسدون إيمانهم باعتقادهم بالأصنام
التي زعموا أنها شركاء لله!! .

ونما عود أبي هريرة فأصبح شاباً، بل لقد شبَّ شاباً رائعاً،
وآتاه الله فهماً عظيماً وعقلاً كبيراً وفؤاداً ذكياً، فامتاز بذلك
على سائر شباب (دَوْس)، فكاد يجد فيما رزقه من هذه المواهب
تعويضاً عن قلة ذات يده، وعن يتمه وقلة شأنه في قومه، لكن قومه
لم يكونوا يأبهون لهذه المزايا، فهم يحيون حياةً يطفئ فيها الجهل
على كل شيء؛ لذا لم تُجدِ هذه المواهب أبا هريرة في قومه،
فظلَّ حاملَ الذكر، قليلَ الشأن.

هكذا عاش أبو هريرة حياته الأولى في قبيلته دَوْس: راعياً
صغيراً للغنم في ظلِّ أبٍ يحنو عليه، ثم غلاماً يتيماً مهيضاً

الجنّاح، ثم شاباً مكتملَ الشاب، عزيزَ النفس، فقيراً، لكنّه
عفيف في فقره، كريم في نفسه، بعيد عن الخنا، ذكيّ المعى،
نظر في معتقدات قومه فلم يعجبه ما كانوا عليه، وإنّه ليتطلّع إلى
ما يُشبع قلبه اللّهفان، ويهدي عقله الحيران، إنّه يتطلّع إلى معتقدٍ
سليم، ودينٍ قويّ، فهل إلى ذلك من سبيل؟! إنّه يتتظر.

*
**

الفتى المسلم

— ١ —

فُتِنَت قَبِيلَةُ دَوْسَ بِصَنَمِهَا (ذِي الْخَلْصَةِ)، كَمَا فُتِنَت سَائِرُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَصْنَامِهَا، فَعَبَدْتَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعَظَّمْتَهُ، وَاعْتَقَدَتْ أَنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَيُعْطِي وَيُمْنَعُ، وَأَنَّ لَهُ تَأْثِيرًا فِي حَيَاتِهَا وَفِي مَا يَصِيبُهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَبَنَتْ لَهُ بَيْتًا فَخْمًا، وَأَقَامَتْ لَهُ سَادَنًا يَخْدُمُهُ، وَيَسْتَقْبِلُ مِنْ يَقْصِدُهُ، وَجَعَلَ أَفْرَادُ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ: رَجَالًا وَنِسَاءً، صَغَارًا وَكِبَارًا، يُؤْمِنُونَ صَنَمَهُمْ، وَيُقَدِّمُونَ لَهُ الْهَبَاتِ وَالْعَطَايَا، وَيَنْذِرُونَ لَهُ النَّذُورَ، وَيَذْبَحُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ الذَّبَائِحَ. وَكَانَتْ لَهُمْ أَيَّامٌ مَعِينَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ، يَحْتَفِلُونَ بِهَا فِي حَضْرَةِ (ذِي الْخَلْصَةِ)، وَيُقَدِّمُونَ لَهُ فِيهَا ضُرُوبَ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ، وَيَطُوفُونَ حَوْلَهُ، وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ.

أَمَّا أَبُو هَرِيرَةَ فَكَانَ يَسْتَخْفُّ بِمَا يَرَى مِنْ قَوْمِهِ، وَيَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ: مَا حَجَرٌ نَطِيفٌ بِهِ؟! كَانَ يَذْهَبُ مَعَهُمْ إِلَى صَنَمِهِمْ، لَكِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي قَلْبِهِ تِلْكَ الْعَاطِفَةَ الَّتِي يَجِدُهَا قَوْمُهُ تَجَاهَ هَذَا الصَّنَمِ

الذي يَدْعُونَهُ (إِلَهًا)، ولا يشاركونهم في شيء من طقوسهم، بل يقف متفرجاً لاهياً عابثاً، غير عابىء بما يرى ويسمع.

كان يودُّ ألاَّ يحضر أعياد قومه عند صنمهم، لكن أمه كانت تزجره وتخوّفه من غضب (ذي الخَلْصَة) عليه ونقمته منه، وتؤكد عليه في الحضور، فكان يستجيب لإلحاح والدته، لكنه لم يكن ليؤمنَ بمعتقدات قومه، ولم يكن يجد الجرأة التي تجعله ينكرها عليهم ويستخف بها أمامهم، وإنَّه هو سخر منها فما هو المعتقد البديل الذي سينادي به أمام قومه؟! .

ولم يكن (ذو الخَلْصَة) وحده الصنم الذي استأثر باهتمام دوس — وإن كان قد استأثر بأكثر اهتمامها — بل شاركه في ذلك صنمان آخران هما: (ذو الكَفَّين) و(ذو الشَّرَى). فبنت دَوْس لكلٍّ منهما بيتاً، وأقامت لكلٍّ منهما سادناً، وجعلت لكلٍّ منهما أياماً تأتي فيها إليه، فتقدّم له واجبات الطاعة والتعظيم.

أما (ذو الكَفَّين) فقد أقامه عمرو بن حممة الدَّوسِي، وترك ابنه حبيب بن عمرو يرعاه ويقوم بشأنه بعد أن هلك. وأما (ذو الشَّرَى) فقد أقامت دَوْس له بيتاً بالسَّراة وَحَمَّتْ له أرضاً كبيرة، كان بها ماء جارٍ يهبط من جبل، فكان الناس يذهبون إلى هذا الماء يغتسلون، ثم يمثلون في حضرة (ذو الشَّرَى).

لكن أبا هريرة استخف بهذين الصنمين كما استخف بالصنم الأكبر (ذي الخلصة)، وكان يزيده احتقاراً لشأنهما ما كان يسمعه من كبير قومه ومُعَمَّرهم (حبيب بن عمرو بن حممة)؛ الذي كان يتقدم قومه إلى (ذي الكفين) . . . كان كثيراً ما يسمعه يقول: (إني لأعلم للخلق خالقاً، لكني لا أدري من هو). فكان أبو هريرة يقول في نفسه: إذا لم ندر ما الخالق؛ فهل نعبد المخلوق؟! .

— ٢ —

شاع في دُوس قصة عجيبة، رُدَّدها الناس عن سيد دُوس وشاعرها الحكيم اللبيب (الطُفَيْل بن عمرو)، ورواها الناس لبعضهم وتندَّروا بها، وخلاصة هذه القصة: أنَّ الطفيل بن عمرو ذهب إلى مكة معتمراً وهناك لقي رجلاً من بني هاشم يقول عن نفسه إنه نبي، وإنه يدعو لتوحيد الله، فأمن له الطفيل، واستأذنه في الرجوع إلى قومه ليدعُوهم، وطلب منه أن يدعو الله له فيؤيده بشيء يدل على صدقه، فدعا ذلك النبي له، فلما عاد الطفيل إلى بلاده، وأشرف على قومه من علٍ، توهَّج رأس سوطه بنور ساطع رآه جمع من قبيلته، حتى إذا وصل إليهم أخبرهم بقصته ودعاهم بدعوته، فلم يصدِّقوه، وما أجابه إلى دعوته غير أبيه وزوجه .

وخفق فؤاد أبي هريرة لهذا النبأ، وفرح به كما لم يفرح بأي

نبأ سبق، ولولا خوفه من أمه لرجع بغنمه إلى رَحْله ضَحى ذلك اليوم الذي سمع فيه بقصة (الطفيل) من أحد زملائه الرعيان، وَلَسَعَى إلى الطفيل ليسمع منه قصته. بَيَدَ أنه آثر أن يمضي بقية يومه، ويعود لرحله كعادته، وبعدها يذهب إلى الطفيل فيسمر عنده، ويسمع قصته.

وبعد غروب الشمس لم يكد أبو هريرة يجلس إلى أمه قليلاً، حتى أخبرها أنه ذاهب إلى الطُّفَيْل بن عمرو يسمع منه قصته، فقالت له أمه: اذهب إليه ولكن احذر أبا هريرة أن تصبوا كما صبأ الطُّفَيْل، وإياك أن تغيّر دينك وتفعل كما فعل ذلك الرجل الذي كنّا نظن فيه العقل والفتانة!!.

استأذن أبو هريرة على الطُّفَيْل بن عمرو، فَأَذِنَ له، وَرَحَّبَ به، وبشّ في وجهه، وأجلسه على فراشٍ وثير، وقال أبو هريرة: جئتُك يا عم أسألك عَمَّا جرى لك في مكة مع الهاشمي الذي يقول إنه نبي، فقال له الطفيل: نعم يا ابن أخي، والله إنه لنبيُّ حقاً وصدقاً، وقد آمنت له، وَاتَّبَعْتُهُ، وإنه ليدعو إلى حق، ولكن من أنتَ يا ابن أخي؟ فقال أبو هريرة: أنا (عبد شمس بن صخر)، فقال الطُّفَيْل: أنت الذي يَدْعُونك بأبي هريرة؟ فقال: نعم. قال الطفيل: قد سمعتُ عن عقلك وبصرك، وبلغني أنك لا ترى في

(ذِي الْخَلَصَةِ) شيئاً، فهلّم يا ابن أخي إلى دين الله الذي بَعَثَ به خاتم أنبيائه .

وقال أبو هريرة: أريد أولاً أن أسمع منك قصة دخولك في هذا الدين فأنا مشتاق لسماعها .

قال الطُّفَيْلُ: كان من قصتي أنني قدمت مكة معتمراً، فمشى إليّ رجالٌ من قريش، فقالوا: يا طُفَيْلُ، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا^(١)، وقد فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلّمه ولا تسمعنّ منه شيئاً .

ووالله يا ابن أخي ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلّمه، حتى لقد حشوت أذني كُرْسُفاً^(٢)، فرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه .

فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمّت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله،

(١) أعضل بنا: أي ضاقت بنا الحِيل في أمره .

(٢) الكرسف: القطن .

فسمعتُ كلاماً حسناً، فقلت في نفسي : واثْكلَ أمي ! والله إنني لرجلٌ لبيبٌ شاعرٌ، ما يخفى عليَّ الحَسَنُ من القبيحِ ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلتهُ، وإن كان قبيحاً تركتهُ .

ومكثت - يا ابن أخي - حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرُك حتى سددتُ أذني بكَرْسُفٍ لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتُه قولاً حسناً، فاعرض عليَّ أمرُك.

وعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسنَ منه، ولا أمراً أعدلَ منه، فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق. ثم قلت له: يا نبيَّ الله، إنني امرؤُ مُطاعٌ في قومي، وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعل لي آية تكون عوناً لي عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل له آية».

وخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بالثَّيَّة^(١)، وقع نورٌ بين

(١) يشير إلى ثنية كانت تشرف على منازل دؤس.

عينيَّ مثلُ المصباح، فقلت: (اللَّهُمَّ في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَةٌ وقعت في وجهي لفراقي دينهم). وتحولَّ النور فوق في رأس سوطي، وجعل الحاضر^(١) يترأَّون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط من الشيعة إليهم، حتى جثَّهم، فأصبحتُ فيهم.

فلما نزلت أتاني أبي، فقلت: إليك عني يا أبت، فلستُ منك ولستَ مني، قال: ولمَ يا بُنَيَّ؟ فقلت: قد أسلمت وتابعتُ دينَ محمدٍ ﷺ، فقال أبي: أيُّ بُنَيَّ، فديني دينك، فقلت: اذهب فاغتسل وطهِّر ثيابك، ثم تعال أعلمك ما علمت. ثم أتتني صاحبتِي، فكلمتها بنحو ما كلمت أبي، فأسلمت. ثم دعوت دَوْساً فأبطأوا علي^(٢).

كان الطفيل يتكلم وأبو هريرة يُصغي إليه، ويلتقط كلماته بعقله وقلبه. وبعد أن انتهى من قصته برَّق وجه أبي هريرة سروراً بما سمع، وقال له: يا أبا عمرو، أسمعني بعض ما تلاه عليك هذا النبي من الكلام المنزل عليه، فقال له الطفيل: نعم.

(١) الحاضر: القوم النازلون على الماء.

(٢) عن السيرة النبوية لابن هشام بتصرف يسير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ .

ولم يملك أبوهريرة نفسه ، فصاح : ما أجمل هذا الكلام
وأعظمه !! .

واستأنف الطفيل القراءة :

بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ﴿٦﴾ .

وصاح أبو هريرة ثانياً : حَسْبُكَ أبا عمرو، فوالله ما سمعنا بمثل هذا الكلام، وما بلغنا عن أحد من العرب أنه قال مثله أو قريباً منه، إنه ليس كلامَ بشر، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ وأنا على دينك أبا عمرو، آمنتُ بما آمنتَ به .

وَفَرَحَ الطُّفَيْلُ بِإِسْلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ لَهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ وَاسْتَنْقَذَكَ مِنَ النَّارِ .

وتوجَّه أبو هريرة إلى الطُّفَيْلِ قائلاً : أبا عمر، هل لك أن تحدثني عن رسول الله ودعوته وسيرته في قومه، فقال الطُّفَيْلُ : نعم يا ابن أخي .

لقد أكرم الله نبيه بالنبوة منذ عشر سنوات ، وكان أول ما أوحى به إليه قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ .

ولقد اختار الله لنبه بيتاً من أوسط بيوت قريش: بني هاشم، ولقد مات أبوه وهو في بطن أمه، لكن الله هياً له جدّه عبد المطلب سيد مكة فكفله، ثم كفله من بعده عمّه أبو طالب إلى أن استقل بنفسه. وحين نزل عليه وحى الله دعا لدينه أوّل ما دعا سراً، فأمن له أربعون ما بين رجل وامرأة وكبير وصغير، ثم أمر فصّدع بدعوته، فسخرت منه قريش، ثم أنكرت عليه، ثم واجهته وأصحابه بالأذى والعدوان والتنكيل الشديد، حتى اضطر بعض أصحابه للهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم.

لقد آذت قريش رسول الله ﷺ، وما يدعوههم إلا إلى خير، فهو يدعوههم (إلى توحيد الله، وخلع ما يعبدونه من الحجارة والأوثان، ويأمرهم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. وينهاهم عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. ويأمرهم أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً، وأن يقيموا الصلاة، وينفقوا من أموالهم في وجوه الخير).

ولقد تركت رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على وفود العرب، وطلبت منه أن يهاجر إلى (دّوس) فأبى عليّ، وطلب مني

أن أعود إلى قومي ، فأدعوهم إلى الله ، حتى إذا سمعت أنه قد ظهر على قومه لحقتُ به .

أما رسول الله — يا أبا هريرة — فلم ترَ عيني أجمل ولا أكمل منه ، مُنَوَّر الوجه ، تامَّ الخَلْقَة ، جميل الطلعة ، صادق اللهجة ، دائم البشر ، لئِن الجانب ، يحبه كل من رآه ، ويثق به ولو لم يَدِنْ بدينه .

وهنا توجه أبو هريرة ثانيةً إلى الطفيل وقال له : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولسوف أدعو إلى هذه الشهادة في دُوس ، لعل الله أن ينقذها من شركها وجاهليتها ، فالحمد لله الذي أخذ بقلبي وسمعي وبصري إلى الإسلام ، وجزاك الله أبا عمرو عني خير الجزاء .

— ٣ —

ودَّع أبو هريرة عهدَ الجاهلية ، ودخلَ في دين الله ، وكان رابعَ قومه إسلاماً ، فقد سبقه الطُّفَيْل وأبوه وزوجه . وأخذ يتردَّد على الطُّفَيْل يتعلَّم منه ما تعلَّم من القرآن الكريم من النبيِّ عليه السلام . وسرعان ما حفظ كل شيء كان عند صاحبه ، فقد كان لبيباً فطناً . وعلمه الطفيل الصلاة ، فجعل يؤديها أداءً حسناً .

ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى أَفْرَادِ قَبِيلَتِهِ يَدْعُوهُمْ لِلدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ،
وَالْإِعْتِقَادِ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَبِنَهْيِهِمْ عَنِ ضَلَالِ الشِّرْكِ. وَعَلِمَتْ دَوُسُ
أَبَا هَرِيرَةَ قَدْ فَارَقَ دِينَهَا وَأَنَّهُ قَدْ تَابَعَ الطُّفَيْلَ عَلَى دِينِهِ، فَجَعَلُوا
يَعْذُلُونَهُ وَيَنْكُرُونَ عَلَيْهِ صَنِيعَهُ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ أُمُّهُ، الَّتِي
أَلَحَّتْ عَلَيْهِ أَنْ يَدَعَ هَذَا الدِّينَ الْمَحْدَثَ، وَيَعُودَ لِدِينِ آبَائِهِ
وَأَجْدَادِهِ، فَأَجَابَهَا: يَا أُمَّاهُ إِنَّ الدِّينَ الَّذِي اتَّبَعْتُهُ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ،
وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ. وَعَادَتْ أُمُّهُ تَزْجِرُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ،
لَكِنَّهُ حَسَمَ أَمْرَهُ مَعَهَا، وَأَفْهَمَهَا أَنَّهُ لَنْ يَغَيِّرَ دِينَهُ، وَلَنْ يَعْدِلَ بِهِ شَيْئاً
فِي الدُّنْيَا.

وَبَذَلَ هُوَ وَالطُّفَيْلُ جُهْداً كَبِيراً فِي دَعَاءِ قَوْمِهِمَا إِلَى الْإِسْلَامِ،
فَمَا اسْتَجَابَ لِهَمَا أَحَدٌ، فَقَدْ كَانَتِ الْوُثْنِيَّةُ قَوِيَّةً فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ،
وَكَانَتِ الْفَوَاحِشُ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي أَفْرَادِهَا فَصَرَفَتْهُمْ عَنِ التَّطَلُّعِ
لِلسُّلُوكِ الْكَرِيمِ وَالسِّيَرَةِ الْحَسَنَةِ. وَضَاقَ الطُّفَيْلُ ذَرْعاً بِهَذِهِ النَتِيجَةِ
الْمَحْزَنَةِ، فَقَدْ كَانَ يَرْجُو - وَهُوَ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ الْمَطَاعُ فِي قَوْمِهِ -
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ قَوْمُهُ، إِلَّا أَنْ رَجَاءَهُ قَدْ خَابَ، وَهِيَ هِيَ ذَا قَدْ مَضَى
عَلَيْهِ مَا يَزِيدُ عَلَى سَنَةٍ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ إِلَّا أَبُوهُ
وَزَوْجُهُ وَأَبُو هَرِيرَةَ، فَمَاذَا يَعْمَلُ؟! وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ?!.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَاجَأَ الطُّفَيْلَ أَبَا هَرِيرَةَ بِهَذَا الْخَبَرِ، فَقَالَ

له : إني مرتجلٌ إلى رسول الله ﷺ أشكو إليه أمر (دّوس)، واهتزّ
فؤاد أبي هريرة لهذا النبأ، وقال للطفيل : هلاًّ تصحبني معك،
فأرى رسول الله ﷺ وأبايعه على الإسلام، وأجابه الطفيل :
يا أبا هريرة إنّ قريشاً قد نصبت العداء الشديد لرسول الله، وإنّها
قد عادت كلّ من يواليه، فأنا أخاف عليك في ذهابك إلى مكة،
أما أنا فالقوم يرعون حُرمتي لصلتي القديمة بهم، ولمكانتي
في دّوس .

وفي مكة المكرمة وقف الطفيل أمام رسول الله ﷺ يقول له :
يا رسول الله، إنّ دّوساً قد استعصت !! .

ويرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء، ويظن الطفيل أنه
سيدعو على قومه، فيفرح لذلك، فقلبه قد ملأ غيظاً منهم، لكنّ
النبيّ الرحيم يفاجئه بهذا الدعاء : «اللهم اهْدِ دوساً واثت بهم» .
ثم يأمره أن يعود لقومه، ويدعوهم من جديد ويتلطف في دعوتهم .

وعاد الطفيل وبشّر أبا هريرة بدعوة رسول الله لقومه، واتجه
الرجلان إلى قومهما يدعوانهم من جديد، ولانت النفوس، ورقّت
القلوب، وأشربت الإيمان، وشرّع أفراد دّوس يدخلون في
دين الله .

أسلم أبو هريرة وعمره ثلاث وعشرون سنة، ومضى على إسلامه بضع سنوات، واكتملت فتوته، وبلغ أشده، ووسّع الله عليه في الرزق، فاشترى غلاماً لخدمته وخدمة أمه، لكنّ أمراً واحداً أقض مضجعه وأتعب نفسه، هو بُعدُه عن رسول الله ﷺ، فقد كان يحمل في جوانحه قلباً فياضاً بالمحبة لهذا النبي الكريم، وكان يتمنى أن تكتحل عيناه برؤيته، وأن يعيش إلى جواره.

وزاد من شوقه للهجرة إلى النبي عليه السلام تلك الأخبار السارة التي علمها من الطفيل عن رسول الله ﷺ؛ فقد أخبره الطفيل أنه بلغه أن النبي عليه السلام هاجر من مكة إلى يثرب هو وأصحابه، وأن أهل يثرب قد آمنوا بدينه، وأنهم قد أصبحوا وإخوانهم المهاجرون جند الإسلام المدافعين عنه بسيوفهم ورماحهم.

ثم زاده سروراً أخبار أخرى جاءت ببشرى انتصار المسلمين في بدر على قريش. ثم تتالت الأخبار السارة سنة بعد أخرى، وأبو هريرة يزداد يوماً بعد يوم شوقاً إلى رسول الله ﷺ.

وأخيراً بلغهم نبأ الأحزاب التي تحزبت وأحاطت بالمدينة،

وعلموا أن الله قد ردّ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وأنّ النبيّ وأصحابه قد نجحوا نجاحاً عظيماً في غزوة الأحزاب، وأنّ قوتهم قد زادت، وأن يقينهم قد أصبح كالجبال الراسيات.

لقد بلغ شوق أبي هريرة للهجرة مبلغه، ولكنّ أمرين كانا يقفان في طريقه وهما: أمه، وطلب الطفيل الدائم منه أن يترث ليكثر عدد المسلمين في دؤس، فيهاجروا جميعاً إلى النبي ﷺ.

واستطاع أبو هريرة أن يقنع أمه بالتحول معه إلى يثرب، وبذل في سبيل ذلك جهداً عظيماً، ثم تحول إلى الطفيل، وجعل يلحّ عليه بالتعجيل في شأن هذه الهجرة، ويقول له: الحمد لله، لقد انتشر الإسلام في دؤس، وآمن عشرات الناس، فلنهاجر بمن آمن إلى رسول الله، فننصره ونسعد بالعيش قريباً منه، ونصحبه.

ووافق الطفيل أخيراً على طلب أبي هريرة، وفاجأه بهذا الخبر السارّ الذي اهتزت له جوانحه، قال له: استعد يا أبا هريرة، فقد أزفت ساعة الهجرة.

المؤمن المهاجر

— ١ —

في فجر يوم من الأيام انطلق ركب المهاجرين من دَوْس باتجاه الحجاز. كان يتقدمهم زعيمهم (الطُّفَيْل بن عمرو) وكان يسير إلى جواره أبو هريرة. وكم كان سروره بالغاً بهذه الهجرة، إِنَّ سروره لا يكاد يعادله فيه أحد من أولئك المهاجرين إلى الله ورسوله. وَحَدَا الحُدَاةَ للإبل، وأُوبِتَ معهم الجبال والسهول والوديان، وانسابت الأصوات الندية إلى آذان الإبل، فطربت لها، واشتدَّت في سيرها.

وآلم دَوْساً أشدَّ الألم أَنْ ينأى هذا العدد من أفرادها عن بلادهم، ويهاجروا إلى أرض لا يعرفونها، وطغى الحزن على معظم أفراد هذه القبيلة، فما من بيت إلا فقد فرداً من أفرادها، لقد كان المهاجرون يزدنون على الثمانين بيتاً، وقال قائل منهم: (والله إِنَّ ديناً قد جعل هؤلاء يهجرون الأهل والوطن لَعَجَب). وكان

لهذه الكلمة تأثير كبير في نفوس الكثيرين ، فجعلوا يفكرون في أمر هذا الدين الذي بلغ تأثيره في نفوس إخوانهم هذا المبلغ . وفتحت هذه الكلمة أمام عقولهم المنافذ لتفكير طويل وعميق .

ومضى أبو هريرة في ركب المهاجرين ، لم يعبأ بوعشاء السفر التي أصابته ، ولا حَفِلَ بذلك التعب الشديد الذي أضناه ، إنه سعيد كل السعادة ، على الرغم مما كانت تبديه أمه من ضجر وتذمُّر طيلة الطريق ، وعلى الرغم من لومها الشديد له على هذه الهجرة الشاقَّة المضنية .

كان كلما مضى على سفره يوم إثر يوم يشعر بسرور أكبر وسعادة أتم ، فقد كان يستعجل ساعة اللقاء برسول الله الذي أحبه عن بُعد حباً عظيماً ، ولقد انتظر هذه الساعة سنين عديدة ، وها هي ذي قد دَنَّتْ ، وخفق قلب أبي هريرة ، وأخذ منه الحنين والحب كلَّ مأخذ .

مضى على المهاجرين أكثر من عشرة أيام وهم يُغْذُّون السير . . . لقد دخلوا في بلاد الحجاز ، وها هم أولاء الآن في مشارف يثرب ، وإنهم الآن ليتراءؤن جَبَل أحد عن بُعد ، ولكن — واحسرتاه — فالشمس قد أفلت ، والنور قد تلاشى ، وغاب عنهم الجبل الحبيب ، ولم يعودوا يرونه شامخاً يسد الأفق أمامهم ؛ على

الرغم من ضوء القمر الذي عمَّ الكون، ولم يفتّ هذا في عزيمتهم، بل إنها الآن على أشدها، وإنَّ الشوق قد بلغ بهم جميعاً مبلغه، ها هم أولاء قد وصلوا المدينة الحبيبة، وإن أصواتهم لترتفع بحمد الله على توفيقه وعونه أن بلغهم المنى، وآواهم إلى مدينة النبي ﷺ.

— ٢ —

استقبلت مدينة النبي ﷺ فوجاً جديداً من المهاجرين ولم يشعر بمقدمهم إلا قلة قليلة من أهل المدينة، فالمدينة خالية من الرجال، ومعظم رجالها غائبون عنها، إنهم في خيبر يفتتحون حصونها، ويؤدّبون اليهود الذين خططوا لغزو المدينة ومباغته أهلها، لكن النبي ﷺ اكتشف أمرهم، فغزاهم في عقر دارهم قبل أن يغزوه، وما شعروا به إلا وهويحاصرهم في حصونهم، ويطلب منهم النزول على حكمه.

وحطّ المهاجرون أثقالهم عن رواحلهم وافتروشوا الأرض، وغلبهم النوم على عيونهم لكثرة ما أصابهم من التعب، وأخلدوا إلى نومٍ عميق، وما أيقظهم إلا مؤذّن الفجر يدعو الناس للصلاة، وكم كان وقع هذا الأذان طيباً في أسماعهم، فقد سمعوه أول مرة،

ها هم يتوضأون ثم يتجهون إلى مسجد النبي ﷺ، وكلهم أمل أن يسعدوا برؤيته ويسلموا عليه، ويبايعوه على الإسلام.

وسبق أبو هريرة الجميع إلى المسجد النبوي، فشوقه إلى النبي عليه السلام كان عارماً، ودخل المسجد، ففوجيء بأن عدد المصلين قليل، وأن معظمهم طاعنون في السن أو مرضى، وسأل عن النبي ﷺ، فقليل له: إنه في خير يفتتحها. وحزن أبو هريرة أن فاتته رؤية النبي في تلك الساعة التي انتظرها طويلاً، وأوى بقية رجال دؤس إلى المسجد وأعلمهم أبو هريرة بخبره عليه السلام؛ فغشيتهم سحابة من الحزن وهم الذين كانوا يمتنون أنفسهم الأمانى، في التبرك برؤية وجهه الكريم، وفي مبايعته على الإسلام في ذلك اليوم.

وأقيمت الصلاة، وتقدم رجل يؤم المسلمين، فسأل أبو هريرة رجلاً إلى جنبه: من هذا الرجل الذي تقدم يؤم الناس؟ فقليل له: هذا سباع بن عرفة الغفاري، وقد استخلفه النبي عليه السلام أميراً على المدينة مدة غيابه. وكبر الإمام وكبر المصلون خلفه، وقرأ الفاتحة، ثم ابتداء يتلو سورة مريم وأبو هريرة يصغي لآياتها التي طرقت سمعه لأول مرة. وقام الإمام للركعة الثانية، وقرأ بعد الفاتحة:

﴿وَبَلِّ لِلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَّالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾
 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
 لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾﴾

ومضى الإمام يتلو السورة حتى أتى عليها كلها، لكن
 أبا هريرة وقف عند مطلع السورة، وجعل يردد في صلاته:

﴿وَبَلِّ لِلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَّالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾
 وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

وجعل يقول في نفسه: ويل لك يا أبا فلان، ويل لك يا أبا
 فلان، وكان يقصد رجلاً من دؤس، كان له مكيالان: مكيال يكيل
 به لنفسه، ومكيال يبخس به الناس.

استشعر أبو هريرة معاني الآيات التي سمعها، وتفاعلت
 بها نفسه، ووجد لها وقعاً جميلاً في قلبه، وانتهت الصلاة وتقدم
 إلى سباع بن عرفطة، فسلم عليه هو والطفيل، وأخبره بخبرهم،
 فرحب بهم، وأثنى عليهم. ثم انصرف هو والطفيل وبقية رجال
 دؤس إلى رحالهم، وتداولوا أمرهم، أيقنوا في المدينة حتى يعود
 إليها رسول الله ﷺ؟ أم يذهبون وراءه إلى خير؟ وأدلى أبو هريرة

برأيه، وقال على مسمع من قومه: (أما أنا فلا أسمع به ينزل مكاناً أبداً إلا جثته). وشجعت كلمة أبي هريرة أصحابه على متابعة السفر، واتعدوا أن ينطلقوا صباح غدٍ.

وفي النهار أدى الدؤسيون صلاة الظهر في مسجد النبي ﷺ خلف الأمير سباع بن عرفطة، وتقدم إليه أبو هريرة، وقال له: إنا قد عزمنا على أن نلحق بالنبي ﷺ في خير، فسرّه ذلك النبأ، وزوّدهم ببعض الزاد، ودعا لهم بخير.

— ٣ —

وفي يوم غدٍ انطلق أبو هريرة ومهاجرة دؤس، بعد صلاة الفجر باتجاه خير، وترك أمه في المدينة المنورة، واصطحب معه غلامه الذي كان اشتراه في دؤس ليعخدمه.

وطلعت الشمس وعمّ نورها الكون، واشتدت حرارتها، ووجد المهاجرون مسّ حرارتها شديداً، لكنهم تحمّلوا ذلك ولم يعبأوا به، فهم يرومون أمراً تهون دونه الصعاب، وما إن دنا وقت الظهيرة حتى شعروا بتعب شديد، فنزلوا عن إبلهم، وأدّوا فريضة الظهر ثم أخذوا إلى القيلولة، حتى إذا استراحت أجسامهم قليلاً، استأنفوا سفرهم حتى مضى جزء من الليل، عند ذلك توقّفوا عن المسير، وقضوا بقية ليلتهم نائمين في سفح جبل صغير.

واستيقظ أبو هريرة فجر تلك الليلة فأذّن للفجر، ثم أيقظ أصحابه، فأدّوا الصلاة، ثم تابعوا مسيرهم ولم يتوقفوا حتى أعياهم التعب الشديد، فأخلدوا إلى قيلولة قصيرة ثم تابعوا سفرهم، وهم يأملون أن يكونوا في خير صباح الغد، وهناك ينالون أقصى أمانهم وأسعد آمالهم.

مضى على المهاجرين ما يزيد على خمسة عشر يوماً وهم في سفر متواصل، فمنذ أن انطلقوا من بلاد دؤس وهم في مسير دائم، ولم يتوقفوا فيه إلا لمأماً، وإلا ذلك اليوم الذي قضوه في المدينة المنورة. لقد بلغ بهم التعب مبلغه، وأحس الجميع بالإعياء والمشقة، ولولا الأمانى الحلوة التي كانت تمدهم بطاقة عجيبة من الصبر والاحتمال؛ لما استطاعوا بذل هذا الجهد وتحمل تلك المشقة.

وبينا هم سائرون وهم على تلك الحال من التعب، التفت أبو هريرة عن يمينه ثم عن يساره يطلب غلامه، فلم يجده، وسأل عنه الركب فلم يجد عندهم خبراً عنه، وأيقن أنه قد ضلّ عن الركب أو أنه قد هرب منه، فتأخر عن إخوانه لبحث عنه، لكنه — وبعد تعبٍ شديد — لم يجده، فأغذّ السير يريد اللحاق بقومه وهو على حالةٍ شديدة من التعب، وجعل يردد بصوت عالٍ :

يا ليلة من طولها وعنائها
على أنها من دارة الكفر نجبت

وأدرك أبو هريرة قومه، فأخبرهم بخبره، فواسوه وطبوا
خاطره، فردّ عليهم: وماذا عليّ إن فقدتُ غلامي؟! فلأنّ أكون
فقدتُ كلَّ شيءٍ وفزتُ برؤية النبي ﷺ فأنا الرابع. وكانت كلمة
رائعة من أبي هريرة أراحت نفوس أولئك المتعبين، وشغلتهم
عن مشقاتهم، وأمدتهم بطاقة جديدة من الصبر والاحتمال.

— ٤ —

طلع فجر اليوم الثالث على المهاجرين إلى الله ورسوله،
وتابعوا سيرهم بعد صلاة الفجر، وبزغ قرن الشمس، وانتشر
النور، وأطلت عليهم خبير بحصونها العالية، وخفقت القلوب
واضطربت الأشواق، وحدا حدّ نديّ الصوت، فأغذت الإبل في
سيرها حتى أتعبت راكبيها، وما هي إلا ساعة حتى وصلوا معسكر
المسلمين، وأخبر بهم رسول الله ﷺ من قبل حرسه، وكان
عليه السلام في مركز قيادته، بينما كان الجيش المسلم يعالج فتح
الحصن الأخير من خبير.

وكان أسبق القوم إليه أبو هريرة، فتقدّم منه ومدّ يده مصافحاً

ودموعُ الفرح تنهمر من عينيه، وحيّاه قائلاً: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، وردّ النبيُّ عليه التحية، ثم قال له: «من أنت؟»، فأجاب: أنا عبد شمس بن صخر الدّوسي أبو هريرة، فقال النبي عليه السلام: «بل أنت أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدّوسي»، وتبسّم أبو هريرة وقال: نعم أنا عبد الرحمن بن صخر، ثم قال: جئتُك يا رسول الله في قومي لأبايعك على الإسلام؛ ولأكون قريباً منك أسعد بصحبتك. وبايعه النبي عليه السلام، ورحب به، ودعاه. ثم قدم الطفيل فسلم على النبي ﷺ واعتنقه وقبله من جبهته، ثم تقدّم بقية المهاجرين فسلموا جميعهم على النبي عليه الصلاة والسلام وبايعوه على الإسلام، وكان الطفيل يسميهم له واحداً واحداً.

فرح النبي عليه الصلاة والسلام بهؤلاء المهاجرين، وفرحوا هم فرحاً شديداً بلقياهم له ﷺ، فقد أدركوا أغلى أمانيتهم، واكتحلت عيونهم بالنظر إليه، فبكوا فرحاً، وجاشت عواطفهم؛ لا سيما وقد رأوا من هبة النبي ﷺ وجلاله وجماله ما فاق كثيراً ما كانوا يتصورونه.

وكان أشدهم سروراً أبو هريرة، فقد جلس إلى جانب النبي ﷺ، وأخذ يرمقه بنظرات الحب والإكبار مرة بعد أخرى، وبينما هو على هذه الحال والنبي عليه الصلاة والسلام يعرض

للمهاجرين الإسلام؛ إذا بغلامه يظهر فجأة أمامه وهو مُقبل عليه، ثم فوجيء بالنبي عليه الصلاة والسلام يلتفت إليه ويقول له: «هذا غلامك أبا هريرة».

ودُهِش أبو هريرة دهشةً عظيمة، فقد أدهشه أولاً ظهورُ غلامه فجأة بعد الذي اعتقد من هربه، ثم لقد زاده دهشةً قولُ النبي ﷺ له: «هذا غلامك»، وتساءل في نفسه سريعاً: ما الذي أعلم النبي عليه الصلاة والسلام أنه غلامي وأنا كنت قد ضللتُه؟ وأجاب أبو هريرة سريعاً: نعم يا رسول الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله، وأشهدك أنه حرٌّ لوجه الله عز وجل.

وسرَّ رسولُ الله جوابُ أبي هريرة ورأى فيه فتىً ذكياً فطناً. وأقبل عليه الصلاة والسلام على الطفيل يسأله عن قومه، فأخبره أن الله قد استجاب دعاءه، فأسلم منهم ما يزيد على ثمانين بيتاً، لكنه أبدى حزنه لأن عدداً كبيراً من قومه لا يزالون على شركهم، وأنهم قد عصَوْا وأَبَوْا أن يُسلموا، ثم قال له: يا رسول الله ادعُ عليهم.

ورفع النبي عليه الصلاة والسلام يديه وبسطهما يدعو، وخفق قلب أبي هريرة، وقال في نفسه: (هلكت دَوْس)، وظنَّ أن النبي عليه الصلاة والسلام سيدعو عليها؛ بعد الذي سمعه من سيدها

الطفيل عن بقاء معظم أهلها على كفرهم وفسوقهم، لكنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام فاجأ الطفيل ثانيةً وفاجأ أبا هريرة والدَّوسيين بهذا الدعاء الكريم:

«اللهم اهدِ دوساً واثب بهم».

وفرَّح أبو هريرة وسائر الدَّوسيين بهذه الدعوة المباركة، وأيقنوا أن قبيلتهم لا بد أن تفيء إلى الإيمان والطاعة عن قريب، ولا بد أن الإسلام سيغزو ديارها، وأن الإيمان سيعمر قلوبها.

— ٥ —

كان قدومُ أبي هريرة على النبي ﷺ بعد أن أتمَّ فتح سائر الحصون، ولم يبقَ إلا حصن واحد، ولم يشهد أبو هريرة إلا آخر معركة من معارك هذا الحصن، ولقد شغل بآله في تلك المعركة كلمةٌ سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام، يخبر بها عن رجل كان في صفوف المسلمين بأنه من أهل النار، والذي أدهش أبا هريرة أن هذا الرجل قد أبلى في القتال أشدَّ البلاء، حتى أصابته جراحاتٌ بليغة.

وسمع أبو هريرة بعضَ الناس يتحدثون في أمره، ويتعجبون من صنيعه وما سمعوه من النبي ﷺ بحقه، وقال أبو هريرة لمن حوله: الله ورسوله أعلم بشأنه.

وسقط الرجل البطل، وآلمته جراحاته، فلم يصبر عليها فأخرج سهماً من كِنَانَتِهِ ونَحَرَ به نفسه، ورأى الناس ما فعل، فركض رجلٌ إلى النبي ﷺ يخبره، وقال له: (يا رسول الله، قد صدَّق الله حديثك)، انتحر فلان فقتل نفسه. وأمر النبي عليه الصلاة والسلام بلالاً فقال له: قم فنادِ في الناس: «لا يدخل الجنة إلا مؤمنٌ، إنَّ الله يؤيِّد الدين بالرجل الفاجر». وسمع الناس كلمة النبي ﷺ وسمعها أبو هريرة فتمتم قائلاً: صدق رسول الله، صدق رسول الله.

وفي خير وبعد انتهاء المعارك شهد أبو هريرة عودة مهاجري الحبشة بعد غياب سنين طويلة، ورأى فرح النبي ﷺ الشديد بعودتهم، وانطبعت في مخيلته صورة النبي ﷺ وقد قام فالتزم جعفر بن أبي طالب، وقبله بين عينيه وقال: «ما أدري بأيُّهما أنا أسرٌّ: بفتح خبير أم بقدم جعفر»؟. ولقد أحب جعفرًا من ذلك اليوم، ثم نمت هذه المحبة في قلبه بعد الرجوع للمدينة، وظلت تلك المحبة قوية في قلبه إلى أن لقي وجه ربه.

وانتهت معارك خيبر، وفُتِحَت المدينة الحصينة، وأذلَّ اللهُ اليهود وغنم المسلمون غنائم كبيرة، وأُعطي أبو هريرة وأصحابه الدُّوسِيون جزءاً من هذه الغنائم. ورجع أبو هريرة في جيش

المسلمين إلى المدينة المنورة، وكان أهم ما علق بذهنه من مشاهد خبير التي رآها، مشهدُ الشاة المسمومة التي قُدِّمت لرسول الله ﷺ، فأكل من ذراعها، وأراد بعض أصحابه الأكل فقال لهم: «أُمْسِكُوا فَإِنَّهَا مَسْمُومَةٌ». وأدهشه كذلك الحوار الذي دار بين النبي ﷺ واليهودية التي قُدِّمت له هذه الشاة، وقوله لها: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَسْلُطَكَ عَلَيَّ». وزاد هذا المشهد من تصديق أبي هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام وزاد من حبه له.

وفي الطريق جعل أبو هريرة يسأل إخوانه عما فاتته من قصص فتح خبير فحدَّثوه عن بعضها، ولقد طَرِبَ لقصة علي رضي الله عنه حينما أرسل النبي ﷺ وراءه أثناء الفتح، ليقود جيش المسلمين إلى حصنٍ قد استعصى عليهم فتحه، ف قيل للنبي عليه الصلاة والسلام: إِنَّ عَلِيًّا أَرْمَدَ، فقال: «عَلِيٌّ بِهِ»، فجاء فتفل النبي عليه الصلاة والسلام في عينه، فبرأ لساعته، وحمل الراية، وأجرى الله على يديه نصراً مبيناً.

وسرَّ كذلك لمصرع اليهودي (مَرْحَب) - الذي تباهى ببطولته أمام المسلمين وتحذاهم، وأنشد الشعر يفخر بنفسه، ولقي منه الصحابةُ بعض العنت - سرَّ لمصرع هذا اليهودي على يد الفتى البطل الشجاع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولم يرو سماعُ هذه الأحداث غليلَ أبي هريرة، فكان يسأل مَنْ حوله في مسيرهم راجعين عن مزيد من الأحداث، وكان يحرص على أن يكون قريباً من النبي ﷺ، يتبارك بالنظر إليه، ويستمع إلى كلماته التي كانت تقع في قلبه قبل سماعه.

ولقد حضر أبو هريرة في جملة كبيرة من الصحابة وليمّة النبي عليه الصلاة والسلام على السيدة (صفية بنت حُيَيّ بن أخطب)؛ التي أصابها السُّبِّي يوم خيبر، فضمّها النبي عليه الصلاة والسلام إلى بيت النبوة، جَبْراً لخاطرها، وإكراماً لها، فقد كانت شريفةً في قومها. وأكل أبو هريرة من وليمّة النبي ﷺ، وكانت وليمّة متواضعة قوامها: التمرُ والأَقِطُ والسمن.

ولم ينس صاحبنا ثلاثة أمور وعتها ذاكرته اليقظة، في جملة أمور كثيرة، أثناء رجوع جيش المسلمين:

● ففي (وادي القرى) تقدّم عبد يقال له مدْعَم — كان أحدُ بني الضَّبَّاب قد أهدها للنبي ﷺ — تقدّم هذا العبد يحطّ رحل النبي ﷺ، وبينما هو يحمل الرحل إذا بسهم — لا يُدرى مَنْ رماه — أصاب هذا العبد، فمات لحينه، فجعل الناس يقولون: هنيئاً له الشهادة، هنيئاً له الشهادة، عندها قال النبي ﷺ: «كلا — والذي نفسي بيده — إنّ الشُّمْلَةَ التي أصابها يومَ خيبر من

المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً». وفعلت كلمة النبي عليه الصلاة والسلام فعلها في النفوس، وحمل رجل من المسلمين (شراكاً) ^(١) وجاء به إلى النبي ﷺ فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال ﷺ: «شراك من نار».

● وفي إحدى الليالي أدرك المسلمين الكرى ^(٢)، فأمر النبي ﷺ بالتوقف عن المسير والخلود إلى الراحة، وقال لبلال: «اكلاً لنا الليل» ^(٣)، فصلّى بلال ما قدّر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبته عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففرغ عليه الصلاة والسلام وقال: «أي بلال»، فأجابه: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك — بأبي أنت وأمي يا رسول الله —. وأمر النبي ﷺ بالمسير، فساروا يسيراً، ثم نزل وتوضأ، وتوضأ المسلمون، وأمر بلالاً فأذن وصلّوا ركعتين سنة الفجر، ثم أقام الصلاة وصلّى لهم الصبح، وسمع أبو هريرة يومها رسول الله ﷺ يقول بعد أن سلّم:

(١) الشراك: سير النعل ويكون على ظهر القدم.

(٢) الكرى: النعاس.

(٣) الكلاءة: الحفظ والحراسة. والمراد: انتظار بزوغ الفجر.

«من نسي صلاةً فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى يقول:
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾».

● وأشرف المسلمون وهم في مسيرهم على وادٍ، فجعلوا يقولون: (الله أكبر، لا إله إلا الله)، ويرفعون بها أصواتهم، وتوجه إليهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «أُرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مَجِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ». وكان أبو هريرة يسير خلف رسول الله ﷺ، ويسير إلى جانبه (أبو موسى الأشعري)، وأبو موسى يقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والتفت النبي إلى أبي موسى وقال له: «يا عبد الله بن قيس»، وقال أبو موسى: لبيك يا رسول الله، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام:

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟» فقال أبو موسى: بلى يا رسول الله - فذاك أبي وأمي -، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا حول ولا قوة إلا بالله». ووعت ذاكرة أبي هريرة يومها هذه الكلمة الطيبة، فجعل يُرَدِّدُهَا عَلَى لِسَانِهِ، ثم كانت ذكراً دائماً له في جملة أذكاره، وإلى أن لقي ربه، بعد الذي سمعه من رسول الله ﷺ في فضلها.

في صحبة النبي ﷺ

— ١ —

عاد أبو هريرة إلى المدينة المنورة، وأوى إلى مسجدها فاتخذ لنفسه مكاناً في الصُفَّة، حيث كان هناك جماعة من فقراء الصحابة يجلسون وينامون. وابتدأت في حياة أبي هريرة مرحلة الصحبة، التي كانت أجمل وأكرم مراحل حياته التي طالت.

كان ذلك في أوائل السنة السابعة للهجرة. ولم يكن أبو هريرة يومها يتجاوز الثلاثين من عمره، كان فتى متوقد الذهن، قوي الذاكرة، متعطشاً للعلم، فهو يريد أن يقطف ثمراته من فم النبي ﷺ. لم يكن يشغله شيء، وليس في حياته ما يصرفه عن هذا الأمر، فهو شاب عَزَب، وقد وطَّن نفسه على أن يكتفي بأقل القليل من الزاد، بل على أن يتحمَّل الجوع والعُري والفقر، لينصرف انصرافاً تاماً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وجعل أمامه هدفاً واحداً هو: طلب العلم والتفقه في دين الله.

وقد نجح في التزام هذا الهدف أيّما نجاح، فلقد عاش سنّي صحبته الأربع وهو يسعى وراء هذا الهدف لا يحيد عنه، ولقد تحمّل في سبيله العنت الشديد وصبر - رضي الله عنه - حتى ظفر، وكان من خيرة طلاب العلم في مدرسة النبي المعلّم صلوات الله وسلامه عليه.

ولم يمضِ على سُكناه المدينة كبير وقت؛ حتى قدم كبير دّوس ومُعَمَّرها (حبيب بن عمرو بن حممة الدّوسي)، ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه، فأسلم وأسلموا جميعاً، وانضاف هذا العدد للعدد السابق من دّوس، وسكنوا ناحيةً من مدينة النبي ﷺ، وفرح بهم أبو هريرة فرحاً شديداً، وأيقن أن هدايتهم كانت ببركة دعاء النبي ﷺ لهم يوم خير.

وأقبل أبو هريرة على رسول الله ﷺ وجعل لا يفارقه، وأخذ يُصغي إليه بسمعه وقلبه، وصار يسأله عن أمور الدين التي لا يعلمها، فيجيبه النبي عليه الصلاة والسلام، فيحفظ ما يُقال له في وقت قصير. كان أول ما أتقنه الصلاة، فقد صحح بعض الشيء من صلاته التي كان يصلّيها، وجعل يحاكي النبي عليه الصلاة والسلام في صلاته. وأقبل إقبالاً رائعاً على حفظ القرآن الكريم، فجعل يطلب آياته وسوّره من النبي عليه الصلاة والسلام فيُحفظه إياها. ويطلبها من كبار الصحابة، فيُقرّثونه ويعلمونه.

وتعرّف أبو هريرة في مدة وجيزة على عدد كبير من أصحاب رسول الله ﷺ، فعرف أسمائهم وأقذارهم عند رسول الله، وبلاءهم في الإسلام، وصار يجلس إلى خادم النبي الأول أنس بن مالك رضي الله عنه - وكان شاباً صغيراً ذكياً - فيسأله عن أخبار النبي عليه الصلاة والسلام التي مضت من بداية هجرته، فكان أنس يحدثه أحاديث مستفيضة، ويجلس هو يستمع بسرور بالغ.

وكان يرى كثرة تردّد عبد الله بن مسعود على بيوت النبي ﷺ وخدمته وتردّد أمه كذلك، فظنّ أنه وأمه خادمان للنبي عليه الصلاة والسلام، ثمّ علم أن ذلك كان حفاوة من رسول الله ﷺ بابن مسعود، فهو رجل صالح نجيب، فتمنّى أن يحل من رسول الله بالمحل الذي حلّ منه ابن مسعود وأنس بن مالك وغيرهما من صحب النبي المقربين.

— ٢ —

أحبّ أبو هريرة النبي ﷺ حباً عظيماً، حتى صار أحبّ إليه من الناس جميعاً ومن نفسه التي بين جنبيه، وصار يشعر بالسعادة تغمره كلما كان بين يديه عليه الصلاة والسلام، وحين كان يفارقه كان يشعر بوحشة، وصرح للنبي بذلك فقال له: (يا رسول الله،

إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني). وعلم النبي عليه الصلاة والسلام صدق أبي هريرة، فقابله على محبته حباً وعطفاً وبشاشة وجه.

وتجاوزت محبة أبي هريرة للنبي إلى محبته لأصحابه وآل بيته، فأحبهم جميعاً لحبّ النبي لهم، بل وأحب الأطفال الصغار الذين كان يرى رسول الله يحبهم ويداعبهم، فأحبّ الحسن والحسين ابني عليّ وأحبّ عبد الله بن عباس وغيرهم.

وأسعد أبا هريرة ما لقيّه من عطف النبي ﷺ عليه، وأسعده أن نال أمنيته العظمى وهي عيشه إلى جوار النبي عليه الصلاة والسلام وتعلّمه منه. لكنّ أمراً واحداً كان يحزنه حزناً شديداً، ويعكّر عليه صفو سعادته، ذلك الأمر هو بقاء أمه على الشّرك ورفضها أن تؤمن بالله ورسوله، فقد دعاها إلى الإسلام مراراً فكانت ترفض الاستجابة، ولقد قصّ عليها بعد رجوعه من خيبر ما رآه وما سمعه من دلائل صدق نبوة النبي عليه الصلاة والسلام — لا سيما قصة الشاة المسمومة — لكنها بقيت بعيدة عن الهدى، متمسكة بدينها الموروث، وقالت لابنها: لا أزال أعبد (ذا الخلصة) ما حييت.

ولم يكفّ أبو هريرة عن دعائها إلى الله، ولم يئأس منها،

فأخذ يناشدها كلَّ يوم أن تؤمن بالله ورسوله، واغتاظت منه في يومٍ من الأيام، فأسمعته كلاماً في النبي عليه الصلاة والسلام، وحزن أبو هريرة للذي بَدَرَ من أمه أشدَّ الحزن، وحمل من ذلك همّاً عظيماً، وخشيَ على والدته أن يصيبها بأسٌ من الله، وخشيَ على نفسه أن يكون سبباً فيما نال النبي عليه الصلاة والسلام من أذى والدته، وفكَّر في أمره، فلم يجد سوى رسول الله ﷺ مسعِفاً في هذا الأمر العسير.

أسرع أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ، ودخل عليه مسجده ودموعُهُ تبلُّل وجهه ولحيته، وسلَّم وجلس، وبادره النبي عليه الصلاة والسلام: «مَالِكُ أبا هريرة؟»، فأجاب بصوت حزين:

(يا رسول الله، إني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام فكانت تأبى عليّ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهدي أُمَّ أبي هريرة).

وأجابه النبي الكريم الرحيم لطلبه. فرفع يديه فوراً وقال:

«اللهم اهدِ أُمَّ أبي هريرة».

وفرح صاحبنا بدعوة النبي عليه الصلاة والسلام، واستبشَّر بها خيراً، وخرج بعد وقت قصير من عند النبي يريد أن يبشِّر أُمَّه بتلك الدعوة المباركة... وسرعان ما لبى الله دعوة نبيه، وسرعان

ما أكرم الله عبده الصالح أبا هريرة في أمه، فقد جلست هي بعد ذهاب ابنها تفكر فيما كان يدعوها إليه وتستعرض كلماته، وأنار الله قلبها وهداها إلى الحق، وانطلق لسانها يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

لقد تبدل كفرها إيماناً، وجفاؤها ليناً، وقسوتها رقة، وكرهها حباً ومودةً، وسارعت تغتسل وتودّع رجس الجاهلية، وتستقبل الإيمان وهي طاهرة الظاهر والباطن.

وما إن وصل أبو هريرة حتى سمع خضخضة الماء، وسمعت هي صوت قدميه، فقالت له: مكانك يا أبا هريرة. ووقف أبو هريرة، وسارعت أمه فأتت اغتسالها ولبست ثوبها، وفتحت الباب قبل أن تضع خمارها على رأسها، وفاجأته بهذه الكلمة الطيبة:

يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وطرب أبو هريرة لسماع هذه الشهادة العظيمة، وطار بها فرحاً، ولم يقف مع أمه لحظة يسألها كيف أسلمت، بل عاد سريعاً إلى رسول الله ﷺ يبشّره بإسلام أمه. ودخل عليه هذه المرة وهو يئكي من الفرح، فسلم وقال: يا رسول الله، أبشّر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، وبرق وجه رسول الله

سروراً، وَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خيراً.

وانتهز أبو هريرة هذه الفرصة فقال للنبي عليه الصلاة والسلام:

يا رسول الله، ادْعُ الله أَنْ يُحِبَّنِي وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبَّهُمْ إِلَيْنَا.

فقال رسول الله ﷺ:

«اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ».

وفرَّح أبو هريرة ثانية بهذا الدعاء المبارك، وكان يوماً مشهوداً في حياته، كان أسعد أيامه بعد يوم لقائه للنبي في خيبر، فقد انزاح عن قلبه همٌّ عظيمٌ بإسلام أمه، وحصل على أمر عظيم وهو دعاء النبي له بأن يُحِبَّ هو وأُمَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحِبَّهُمَا. وعاش أبو هريرة بعد ذلك اليوم المشهود زماناً وهو يشهد تحقق دعاء النبي له، وكان دائماً يتحدث بذلك، كان يقول: ما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

— ٣ —

شعر أبو هريرة بعد إسلام أمه أَنَّ هَمًّا عَظِيماً قَدْ انْجَابَ عَنْ فَوَّادِهِ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ شَيْءٌ يَعُوقُهُ عَنْ تَفْرِيفِ قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ

وبصره لرسول الله ﷺ؛ ليفهم الإسلام فهماً تاماً، وليدرك ما فاته من العلم.

ووضع أبو هريرة نصب عينيه أمرين:

أولهما حفظ وفهم كل ما ينزل على رسول الله ﷺ من الوحي من جديد، وكل ما يتحدث به النبي إلى أصحابه ويخطبهم ويعظهم به، وعدم التفريط بشيء من ذلك ولو بكلمة.

ثانيهما: حفظ ما فاته من القرآن الكريم مما نزل قبل هجرته؛ وكذلك ما تحدث به النبي عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه من قبل، واستيعاب مجريات سيرته السابقة وأيامه ومشاهده.

ولزم أبو هريرة رسول الله ﷺ من أجل هذين الهدفين لزوماً تاماً، فكان يكون معه عامة نهاره وجزءاً من ليله، كان يصلي خلفه ويُنصت إلى قراءته. كان يجلس معه ويرهف سمعه إليه، ويستجمع كامل وعيه. كان يغدو ويروح معه، يزور الصحابة، ويعود المرضى، يحضر الجنائز معه. كان يذهب في حاجاته ويدعوله الناس، ويمشي بأوامره إليهم.

غدا أبو هريرة كأنه سِجِلٌ دقيق ليوميات رسول الله ﷺ وأعانه على ذلك همّة عالية، وحافظة عجيبة، وفهم ثاقب، وتعطش شديد للعلم، وخلو بال، وقناعة تامة، وزهد في عرض الدنيا، وقبل هذا

كلُّه حبٌّ كبير لرسول الله ﷺ، وعاطفةٌ جيّاشةٌ تجاهه، وإيمان قوي.

وحلَّ أبو هريرة في قلب النبي عليه الصلاة والسلام بالمحل الكريم، وعطف عليه عطفاً شديداً، وسره منه رغبته الشديدة في طلب العلم والازدياد منه، فقرّبه منه، وفسح له المجال لمجالسته وملازمته، بل كان كثيراً ما يدعوّه إلى بيته فيستعمه ويكرمه، وجعل يقرئه القرآن، ويوصي أصحابه بأن يُقرئوه، وأخذ يخصّه ببعض الوصايا، والأخبار، والنبوءات.

وكان عليه الصلاة والسلام يتفقّده إذا غاب - وقلَّ ما كان يغيب - ويرسل وراءه من يبحث عنه... دخل النبي ﷺ يوماً مسجده، فلم ير أبا هريرة يأتي إليه ويسلّم عليه كما كانت عادته، ونظر هنا وهناك في المسجد، فلم يجده، والتفت إلى مَنْ كان بالمسجد قائلاً: «من أحسَّ الفتى الدّوسي؟» فلم يُجبه أحد، وقال ثانية وثالثة: «من أحسَّ الفتى الدّوسي؟» وقال مَنْ هناك: لم نره يا رسول الله. وكان رجل يصلي، فلما قضى صلاته، اقترب من النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: يا رسول الله، هو ذاك يوعك في جانب المسجد. وحزن النبي عليه الصلاة والسلام لمرض أبي هريرة وأقبل عليه، فسلّم عليه، وتبسّم له، وسأله عمّا

به، فشكى له المرض، فوضع يده الكريمة على موضع الألم ودعا له، فقام من ساعته وقد برىء مما به.

— ٤ —

أقبل أبو هريرة على النبي عليه الصلاة والسلام بسمعه وقلبه، وجعل يحفظ عنه كل ما كان يسمعه منه. كان لفرط حبه للنبي عليه الصلاة والسلام يكثر النظر في وجهه ويتجراً على ذلك، في حين كان عدد من الصحابة يتهيبون النظر الدائم في وجهه الكريم، كان يقول:

(ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه).

وكان لفرط حبه للنبي عليه السلام يتجراً أن يسأله عن أمور كان الصحابة يتهيبون سؤاله عنها. قال له يوماً: (يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبثني عن كل شيء، فقال له: «كل شيء خلق من ماء». وقال أبو هريرة: يا رسول الله أنبثني عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنة، فقال له: «أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام».

وفي يوم من الأيام وبيننا عدد من أصحاب رسول الله ﷺ جلوسٌ عنده، قال أبو هريرة: (يا رسول الله، من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة)؟.

وسُرَّ النبيُّ عليه الصلاة والسلام بسؤال أبي هريرة وأثنى عليه خيراً وقال له:

«لقد ظننت ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث».

وبعد هذا الثناء العطر قال له:

«إنَّ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه».

وفرَّح الصحابة يومها بسؤال أبي هريرة، وأثنوا عليه خيراً، وكان أشدَّهم ثناءً عليه أبيُّ بن كعب، الذي أوصاه بعد انصراف النبي ﷺ أن يُتحفهم بالكثير من مثل هذه الأسئلة. ولم يكن أبو هريرة بحاجة إلى مثل هذه التوصية، فقد كان حُبُه للعلم كحب الرجل للماء البارد على العطش، وكان النبيُّ عليه الصلاة والسلام أحبَّ إليه من كل شيء في الوجود، لذا دأب على عاداته وازداد علماً على علم.

وشعر أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا كَبَّر في الصلاة سكت هَنِيْهَةً قبل أن يقرأ الفاتحة، فقال له، يا رسول الله، ما تقول؟ فأجابه: «أقول:

« اللهم باعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من خطاياي كما يُنقى الثوبُ الأبيض من الدَّنَس، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد».

وسأل أبو هريرة رسول الله ﷺ عن كل شيء، سأله عن الصلاة والصيام والزكاة والحج، سأله عن الإيمان وحقيقته، سأله عن الجنة والنار، سأله عن الملاء الأعلى، وسأله عن حياته ودعوته في مكة المكرمة وما جرى له، وعن هجرته، وعن سائر أيامه، وكان يلقي الجوابَ الشافي، وكان يجد من النبي عليه الصلاة والسلام البشاشة والسرور والارتياح لأسئلته. وسعد هو بما كان يحصله من العلم، وسعد إخوانه الصحابة الكرام بذلك.

وأراد عليه الصلاة والسلام يوماً أن يمتحن أبا هريرة، فبينا هو يقسم غنيمة، قال له: «ألا تسألني لمن هذه الغنائم؟» فأجابه:

(أسألك أن تعلمني مما علّمك الله).

وعندها أمره النبي عليه الصلاة والسلام أن ينزع نَمْرَةً^(١)

(١) النمرة: بُرْدَةٌ من الصوف تلبسها الأعراب.

كانت على ظهره، فنزعها وأخذها النبي عليه الصلاة والسلام فبسطها بينه وبين أبي هريرة، ثم حدّثه طويلاً، حتى إذا استوعب حديثه، قال له: «اجمعها فصرّها إليك»، ففعل أبو هريرة، وشعر بعد قليل بسرّ عمل النبي عليه الصلاة والسلام، شعر بسرّ ذلك مساءً يومه، فقد جلس يستذكر بعد العشاء الآخرة أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي حدّثه بها حين بسط النمرة، فإذا به كأنه يقرأها من كتابٍ أمامه، وإذا به لا يسقط منها حرفاً واحداً، وفرح بذلك أشدّ الفرح، وحَمِدَ الله على ذلك أتمّ الحمد.

وما هي إلا أيام قليلة حتى أكرمه الله بدعوة مباركة من النبي عليه الصلاة والسلام ليثبت الله حفظه، وتحققت له هذه الدعوة، وغدا يحفظ ولا ينسى، ويعي كل شيء يُلقى إليه ولا يُضيّع منه شيئاً.

فقد دخل النبي عليه الصلاة والسلام المسجد ضحى يوم من الأيام، فوجد أبا هريرة وزيد بن ثابت ورجلاً آخر، وكان زيد قد انصرف إلى الصلاة هو والرجل الآخر، وأبو هريرة يقرأ القرآن، حتى إذا انتهى زيد وصاحبه من صلاتهما جعلَا يدعوان الله، وتوقف زيد وصاحبه عن الدعاء حين أقبل عليهما النبي عليه الصلاة والسلام، وأمرهما النبي بمتابعة الدعاء، وجعل يؤمّن على

دعائهما، حتى إذا انتهيا من الدعاء، أمر أبا هريرة بأن يدعو لنفسه فدعا أبو هريرة وقال:

(اللهم إني أسألك ما سألَكَ صاحباي، وأسألك علماً لا يُنسى).

وقال عليه الصلاة والسلام: «آمين، آمين».

وفطن زيد وصاحبُه لهذا الدعاء الخطير الشأن؛ فقالا: ونحن نسألك علماً لا يُنسى، وأجابهما النبي عليه الصلاة والسلام بتلطف:

«سبقكم بها الغلام الدُّوسي، سبقكم بها الغلام الدُّوسي».

هكذا شاء الله العليم الحكيم أن يأتي هذا الشاب الخامل الذكر، الذي كان يرعى الغنم في دُوس، يأتي من أرض اليمن إلى ظُئْر الإسلام، ليقوم بأمر هام عظيم، وهو استيعاب أكبر قدر من حديث رسول الله ﷺ، واختزانه في ذاكرة ممتازة، ثم بثه في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ونقله لأجيال التابعين، ثم تداوله في أجيال هذه الأمة جيلاً بعد جيل. ذلك عطاء من ربك، وما كان عطاء ربك محظوراً؛ وذلك فضل من الله يختص به من يشاء، وهو العليم الحكيم.

كان أبو هريرة قبل دعاء النبي له وقبل حادثة بسط النمرة، يشعر بأنه ينسى بعض كلمات النبي عليه الصلاة والسلام، وشكا له ذلك وقال: (يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه). فأصبح بعد ذلك قويّ الحفظ لا ينسى حرفاً من كلامه عليه الصلاة والسلام، وكان هذا الأمر — بالإضافة إلى كثرة ملازمة أبي هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام، وبالإضافة إلى ذاكرته الجيدة ورغبته العارمة في العلم — كان هذا كله سبب تفوقه ونبوغه، وسبقه الصحابة جميعاً في حفظ الحديث وروايته.



لم تصرف ملازمة أبي هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام أبا هريرة عن برّه بأمه، فكان يزورها صباح مساء، وكان يحمل لها جزءاً من الزاد الذي يحصل عليه، فتأكله وتقنع به، وأخذ أبو هريرة يعلم أمّه ما كان يتعلّمه من النبي عليه الصلاة والسلام، وصارت هي تصلي مع النساء في مسجد النبي، وتسمع خطبه ومواعظه.

وجاءها يوماً بتمرّتين، وقال لها: إنّ رسول الله ﷺ أعطانيهما لك، فكليهما وسمّي عليهما الله، فستُجزيانكِ عامّة نهارك. ثم قال لها: والله يا أمّاه، ما يمنعني من العمل والاكتساب وإطعامكِ

الْحَسَنَ إِلَّا حَبْشِي لِمَلَاذِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَالتَّفَقُّهِ عَلَيْهِ، فَاصْبِرْ عَلَى مَا تَعَانِيهِ، فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

وَجَاءَهَا يَوْمًا، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمّاهُ لَقَدْ جِئْتُكَ بِخَيْرٍ عَمِيمٍ، لَقَدْ جَاءَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يَصْلُونَ كَمَا نَصَلِي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفَضُولِ أَمْوَالِهِمْ.

فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟! إِنَّ بَكْلَ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلَّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلَّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلَّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مَنكَرٍ صَدَقَةٌ».

فَاكْثَرِي يَا أُمّاهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ تَلْحَقِي بِأَوْلَئِكَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَنَالِي أَجْرًا كَأَجْرِهِمْ.

وَقَالَ لَهَا يَوْمًا: يَا أُمّاهُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْسَ فَقَالَ لَنَا: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» فَقُلْنَا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا». فَاَنْظُرِي يَا أُمّاهُ إِلَى فَضْلِ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ، وَإِلَى فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ شَرَعَ لَنَا مَا يَطَهِّرُنَا بِهِ مِنْ آثَامِنَا عَلَى الدَّوَامِ.

وَحَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قَالَتِ النَّارُ: رَبُّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذُنُ لِي أَنْ أَتَنَفَّسَ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ»؛ ثُمَّ قَالَ لَنَا: «فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ». فَأَكْثَرِي يَا أُمَّاهُ مِنَ التَّعَوُّذِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ. وَسَلِّى اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَا يَنْقُطِعُ عَنْ بَرٍّ أُمِّهِ وَتَحْدِيثِهَا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانَتْ هِيَ تَتَلَقَّى مِنْهُ الْأَحَادِيثَ بِسُرُورٍ تَامٍ، وَتَدْعُو لَهُ وَتَقُولُ دَائِماً: (اللَّهُمَّ إِنِّي رَاضِيَةٌ عَنْ وَلَدِي أَبِي هُرَيْرَةَ فَارْضَ عَنْهُ)، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَشْكُرُهَا عَلَى ذَلِكَ وَيُثْنِي عَلَيْهَا خَيْراً.

— ٦ —

أَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّخَذَهُ بَيْتَهُ وَسُكْنَهُ، وَمَغْدَاهُ وَمِرَاحَهُ وَمَكَانَ نَوْمِهِ؛ وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ مَوْضِعاً فِي الصُّفَّةِ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِهَا، بَلْ لَمْ يَلْبِثْ قَلِيلاً حَتَّى أَصْبَحَ عَرِيفَ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَالرَّجُلَ الْبَارِزَ فِيهِمْ، وَأَعْظَمَهُمْ مَكَانَةً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَفِي الصُّفَّةِ أَمْضَى أَبُو هُرَيْرَةَ فِتْرَةَ صَحْبَتِهِ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَدْ بَقِيَ فِيهَا مَلَازِماً لَهَا، لَا يَعْدِلُ بِهَا

منزلاً، إلى أن انتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى .

والصفة موضع مظلل من المسجد النبوي ، وكان أهلها فقراء الصحابة ممن لم يكن لهم قبائل ولا منازل في المدينة، فكانوا ينامون فيها على عهد رسول الله ﷺ ويكونون فيها عامة أيامهم ، فكان رسول الله ﷺ يدعوهم إليه بالليل ، فيفرّقهم على أصحابه ، فيتعشّون عندهم ، وتتعشى طائفة منهم عند رسول الله ﷺ ، حتى جاءهم الله بالغنى .

وكان النبي يستأثر دائماً بأبي هريرة ، فإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم معه ، فيوزّعها عليهم ، وإذا جاءته هدية أكل منها وأرسل أبا هريرة ورائهم فجاءوا وأكلوا ، أو يعطيه نصيبهم فيقسمه هو بينهم .

ولم يكن أهل الصفة بالقوم الكسالى الذين يقعدون عن الكسب والعمل ، لكنهم شغلوا بالجهاد والتعلم ، وضائق موارد المدينة عن عمل لهم ، وكان مجتمع المدينة - عموماً - مجتمعاً فقيراً ، فتحمل هؤلاء الجوع والعري ، وصبروا صبراً جميلاً ، وآثروا الله ورسوله ، إلى جاءهم الله بالغنى واليسار ، فتبدّل بهم الحال ، وجنّوا ثمرة صبرهم .

وفي سنوات الصِّفَّة شعر أبو هريرة بوطأة الجوع الشديد، وأدرك أنه بين أمرين وعليه أن يختار أحدهما: إما الجوع ومصاحبة النبي عليه الصلاة والسلام والفوز بالعلم الغزير والصحبة الكريمة. وإما الشبع، وعندئذ عليه أن يضحي بكثير من وقته ويُحرَم فيه من صحبة النبي ﷺ والاستماع إليه. واختار أبو هريرة ملازمة النبي ﷺ وعزم على أن يتحمّل، وأدرك أن مع العسر يسراً، وأن الله سيعوّضه عن جوعه وفقره ثواباً كبيراً، وعلماً عظيماً.

بل إنه فهم من النبي ﷺ أنه يريد منه إشغال مواهبه بالأمر الأول، فقد رآه النبي عليه الصلاة والسلام في أوائل أيام الصحبة يغرس غرساً، فقال له: «ما تصنع يا أبا هريرة» فقال: أغرس غرساً، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على غرسٍ خير لك منه؟» فقال أبو هريرة: وما هو؟ فقال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لك بكل واحدة شجرة». وفتن أبو هريرة إلى أن النبي ﷺ يريد منه أن يلزمه ليتعلّم منه العلم والذكر، وأن يشغل نفسه بهذا.

ومرّت على أبي هريرة أيام قاسية كان يجوع فيها حتى يخرّ إلى الأرض، فيصرع في المسجد النبوي ما بين المنبر وحجرة السيدة عائشة، فيجيء بعض الغرباء من الناس فيحسبونه مجنوناً

يصبیه الصَّرْع، فيضعون أيديهم على رأسه، وأحياناً أرجلهم على بطنه، ويحركونه، فينظر إليهم ويقول لهم: (ما بي ما تظنون، ليس بي إلا الجوع).

وصار أبو هريرة يستعين بالحجارة، فيشدها على بطنه تخفيفاً من بعض ما يجده، وكان النبيُّ عليه الصلاة والسلام يراه، فيحزن لحاله، ولا يجد له ما يسكن به جوعه، فقد كانت بيوت النبي عليه الصلاة والسلام تخلو أياماً عديدة من الطعام، وكذا بيوت الصحابة، فقد شغل الجهادُ القومَ عن تجميع الأموال والتجارات وصرفهم عن الكسب والأدخار!!

وكان يعزِّي أبا هريرة عما يصبیه ما كان يصبیب إخوانه من أهل الصفة من الجوع، كذلك كان يعزِّيه عن ذلك بِرُّ رسول الله ﷺ به ومواساته له، وكذلك مواساة الأصحاب.

جاء يوماً جوعاً شديداً فخرَّ إلى الأرض في المسجد، وجاء النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وقال له: «يا أبا هريرة» فأجابه: لبيك وسعديك، ومدَّ النبي عليه الصلاة والسلام يده، وأخذ بيد أبي هريرة وأقامه، وانطلق به إلى بيته، فقدم له شيئاً من لبن، فشرب منه، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «عُدْ

أبا هريرة»، فعاد وشرب، ثم قال له: «عُدْ» فعاد وشرب، حتى استوى بطنه وامتلأ، ثم انصرف فرحاً شاكراً.

ومضت سنوات الجوع على أبي هريرة، وأصبحت في ذهنه ذكريات جميلة عذبة، رواها لتلاميذه الكثيرين، ووصف لهم ما تحمّله من أجل الصحبة ومن أجل العلم. وتعجّبت الأجيال من صنيع هذا الرجل العظيم الصابر، وحَمِدَت له صبره وتحمّله الذي عاد بالبركة والنفع عليه وعليها.

حَدَّث أبو هريرة أصحابه يوماً عن ذكريات جوعه فقال لهم: (والذي لا إله إلا هو، إِنْ كُنْتُ لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وَإِنْ كُنْتُ لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل. ثم مرَّ بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ فلم يفعل. ثم مرَّ بي أبو القاسم عليه السلام، فتبسّم حين رأيته، وعَرَفَ ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الْحَقُّ»، ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن فأذن لي، فوجد لبناً في قَدَح، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهدها لك فلان، قال: «أبا هريرة»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الْحَقُّ إلى أهل الصُّفَّة، فادْعُهُم لي».

يقول أبو هريرة: فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصُّفَّة؟ كنت أحقُّ أنا أن أصيبَ من هذا اللبن شربة أتقوى بها، ثم قلت لنفسي: إذا جاؤوا، أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، فحزنت لذلك، ولكن لم يكن من طاعة الله رسوله بُدًّا!! .

فأتيتهم، فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، وقال لي النبي عليه الصلاة والسلام: «يا أبا هرٍّ»، فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «خذ فأعطهم»، وجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يَرَوِي، ثم يرد القدح، فأعطيته الرجل الآخر فيشرب حتى يَرَوِي، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلُّهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم، وقال: «أبا هرٍّ»، فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «بقيت أنا وأنت، اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت، فقال: «اشرب» فشربت فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجدُّ له مسلكاً، فقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «أرني» فأعطيته القدح، فحمِدَ الله وسمَّى وشرب الفضلة.

عانى أبو هريرة رضي الله عنه من الجوع شيئاً كثيراً، وصَبَرَ

عليه أياماً طويلة، ولكأنه كان يُحسُّ في أعماق نفسه أن صحبته للنبي عليه الصلاة والسلام قد لا تطول، وأنه قد تأخر في الهجرة إليه، فليحرص على كل لحظة في صحبته له، وليصبر على كل ما يصيبه في سبيل ذلك، فسوف تأتي عليه أيام يشبع فيها، فيكون قد فاز بأوفى نصيب.

ومع جوعه رضي الله عنه، فقد كان عفيفاً حياً، لا يطلب من أحد، ولا يشكو إلى أحد، إلا ما كان يشه للنبي عليه الصلاة والسلام، وإلا ما كان يتعرض به لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أحياناً، فقد كان يرى أن منزلتهما تلي منزلة رسول الله في المسلمين، وكان يراهما أبر الناس بالمسلمين بعده عليه الصلاة والسلام. وكان هناك رجل كثير البرّ بأبي هريرة، ذلك الرجل هو جعفر بن أبي طالب الذي أحبه أبو هريرة من أيام خيبر، ولكن الحياة لم تطل به - وأأسفاه - فقد قضى شهيداً يوم مؤتة، وبكاه أبو هريرة وظلّت ذكراه طيبة في قلبه وعلى لسانه.

كان أبو هريرة سعيداً رغم جوعه، فكان قريبه من رسول الله ﷺ أمتع شيء عنده في الوجود، وكان الجوع لا يمنعه من حُسن الاستماع والتلقي عن النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يمنعه عن تذكُّر الأحاديث ليلاً بعد صلاة العشاء، ولا يحول دون عرضه ما معه من القرآن على أبي بن كعب وعبد الله بن

مسعود وزيد بن ثابت، أولئك الثلاثة الذين أحبهم كثيراً لأنهم كانوا يعطونه من وقتهم الشيء الكثير؛ ليعرض عليهم ما حفظه من كتاب الله تعالى.

ولقد بقيت صور تلك السنوات التي قضاها في الصُفَّة قريباً من نبيِّه الحبيب ﷺ؛ عالقةً في ذهنه طيلة حياته، فهي أسعدُ أيامه، ولقد أدرك أبو هريرة بعد انتقال النبي عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى؛ أن الله تعالى هو الذي هَيَّأَ له بكرمه وعنايته الخير العميم، وهو الذي جعله يصبر على الجوع ويتحمَّل مشاقه، من أجل أن يظفر بما ظفر به من العلم الكثير الطيب.

وفي الصُفَّة تعرَّف أبو هريرة على إخوان صدق، جمع بينه وبينهم الإيمان والحب والطاعة والصبر على الشدائد من أجل الله ورسوله. ففيها تعرَّف على بلال بن رباح، والبراء بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وأبي ذر الغفاري، وخبَّاب بن الأَرْت، وزيد بن الخطاب، وبشير بن الخصاصية، وسلمان الفارسي، وسفينه مولى رسول الله، وربيعه بن كعب خادم رسول الله، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من أولئك الرجال الفقراء العظماء الذين خلد التاريخ ذكرهم، وَيَبَّضَتْ أعمالهم صفحاته، فكانوا أئمةً هدى، ومنازلٍ رشادٍ وسداد.

مضت عدّة أشهر على صحبة أبي هريرة لرسول الله ﷺ، اجتهد فيها اجتهاداً عظيماً في الاستماع والحفظ وتلاوة القرآن الكريم، واستطاع أن يُحيط بتفاصيل سيرة النبي عليه الصلاة والسلام منذ أنزل الله عليه الوحي، فقد قصّ عليه النبي ﷺ أخباره الماضية، ولقد سمع تفاصيل قصة الهجرة من أبي بكر الصديق، وسأل عدداً من سادة الصحابة وكبرائهم عن أيام: بدر، وأحد، والخندق، فقصّوا عليه أخبار تلك الأيام، وسُجّلت أحداثها في ذاكرته حتى كأنه رآها بعينه.

وفي هذا العام الأول لصحبة أبي هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام ترك المدينة، وخرج مع النبي غازياً قبل نجد في الغزوة التي سُمّيت بذات الرّقاع^(١)، ولم يحصل في هذه الغزوة قتال، وإن حصل فيها خوف كل فريق من الآخر، حتى اضطر المسلمون أن يصلّوا صلاة الخوف.

(١) أكثر كتب السير درجت على ذكر هذه الغزوة قبل وقعة الخندق، بيد أن هناك حديثاً قي البخاري وأحاديث صحيحة عند أهل السنن تفيد حضور أبي هريرة وأبي موسى الأشعري لها، وكلاهما هاجر إلى النبي عليه الصلاة والسلام أيام خيبر، ولعل النبي عليه الصلاة والسلام غزا قبل نجد غزوتين، وفي زمانين مختلفين.

وفي هذه الغزاة لقي أبو هريرة وغيره من الصحابة ما لَقُوا من الشدائد؛ فنَقِبَتْ أقدامُهم، وسقطت أظفارهم، حتى جعلوا يَلْفُونَ الخِرْقَ على أرجلهم، وسمَّوا هذه الغزوة بغزوة (ذات الرقاع).

وفي هذه السنة أيضاً صحب أبو هريرة رسولَ الله ﷺ والمسلمين إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، ودَخَلَ مكة لأول مرة، ورأى الكعبة المعظمة، وفاضت عُبْرته، وجاشت عواطفه، وطاف حول الكعبة مهرولاً، فقد سمع النبي ﷺ يقول لأصحابه: «رحم الله امرءاً أراهم - أي المشركين - اليوم من نفسه قوة».

ورآه قد استلم الركن، وجعل يهرول هو وأصحابه، ورأى علوَّ شأنِ الإسلام، وتراجعَ الكفر، وأيقن أنَّ هذا الدين سيغلب على مكة، وأنَّ الله سيُظهره على الدين كله.

— ٨ —

تحمَّل أبو هريرة مرارةَ الجوع والحِرمان، وصَبَرَ على ذلك صبراً جميلاً بيَّد أنه أشفق على أمه، وخشي أن يدخل عليها دَخَلٌ في إيمانها ويقينها؛ بسبب ما تجد هي الأخرى من الفاقة والخصاصة، وفكَّر في أن يعمل عملاً يكسب منه ولو شيئاً يسيراً

ينتفع به هو وأمه، ولكنه خشي أن يحرمه العمل من صحبة النبي عليه الصلاة والسلام والاستماع إليه، وظل زمناً بين الإقدام والإحجام، وأخيراً وجد عملاً ظن أنه يتلاءم مع صحبته لرسول الله ﷺ، ولا يحرمه منها، فأقبل عليه يجربُه.

أقدم أبو هريرة على تأجير نفسه من صحابية جليلة ميسورة الحال هي (بُصرة بنت غزوان)؛ على أن يخدمها هي وزوجها ويصحبهما في أسفارهما، وكان الأجر شبع بطنه، وعُقبه رجله، وعَزَم أبو هريرة أن يقطع من زاده جزءاً يكفي أمه، وبذلك يأمن ما قد خشيَه عليها.

واشترط أبو هريرة على ابنة غزوان أن لا تمنعه من حضور الصلاة مع النبي عليه الصلاة والسلام، وأن لا تشغله ليلاً، وأن يقضي وقت فراغه في المسجد، وأن لا يخرج معهم في سفر إلا إذا كان السفر في صحبة النبي عليه الصلاة والسلام، ورضيت ابنة غزوان بهذه الشروط. وابتدأ أبو هريرة عمله، وأبدى نشاطاً فيه، وفوت هذا العمل عليه شيئاً يسيراً من ملازمة النبي عليه الصلاة والسلام، كان يستدركه بسؤال رسول الله ﷺ، وبسؤال أنس بن مالك وابن مسعود في بعض الأحيان.

وأعجبت بُصرة بنت غزوان بأجيرها، وأعجب زوجها كذلك،

فقد كان أميناً قوياً، عالماً حافظاً لسُورِ من القرآن، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، فكان يقرأ لهم القرآن بصوته الحزين، فيتأثران بقراءته، وكان يحدثهم بحديث النبي عليه الصلاة والسلام.

وكانت ابنة غزوان قد اشترطت عليه الطاعة، فأعطاهما ما اشترطت، وَوَجَدَتْ مِنْهُ الْوَفَاءَ التَّامَ. وَأَحَبَّتْ يَوْمًا أَنْ تَمْتَحِنَهُ، فَعَمَدَتْ إِلَى بَعِيرٍ وَاقِفٍ وَقَالَتْ لَهُ: أَبَا هَرِيرَةَ، ارْكَبْ هَذَا الْجَمَلَ وَهُوَ وَاقِفٌ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ أَبُو هَرِيرَةَ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ وَثَبَ عَلَى الْجَمَلِ وَعَلَا ظَهْرَهُ، وَضَحِكَتْ بُسْرَةُ وَضَحَكَ زَوْجُهَا، ثُمَّ أَمَرَتْهُ بِالنُّزُولِ فَتَزَلَّ، وَقَالَتْ لَهُ: اذْهَبْ حَافِيًا وَانْزِعْ لَنَا دَلُوءًا مِنْ مَاءِ ذَاكَ الْبُئْرِ، وَانْصَاعْ أَبُو هَرِيرَةَ لِلْأَمْرِ، وَمَشَى حَافِيًا الْقَدَمَيْنِ فِي أَرْضِ وَعْرَةٍ، حَتَّى أَتَى الْبُئْرَ فَامْتَاخَ مِنْهَا الْمَاءَ، وَرَجَعَ إِلَيْهِمَا، وَكَانَ امْتَحَانًا نَاجِحًا، وَفِي فِيهِ أَبُو هَرِيرَةَ بِشَرَطِ الطَّاعَةِ، وَوَجَدَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ صَدْقَهُ بَعْدَهُ، وَوَفَاءَهُ بِأَمَانَتِهِ، فَازْدَادَتْ بِهِ إِعْجَابًا، وَأَكْبَرَتْ فِيهِ إِيمَانَهُ وَتَقْوَاهُ.

بَيَّدَ أَنْ عَمَلَ أَبِي هَرِيرَةَ لَمْ يَطْلُ، فَمَا مَضَتْ عَلَيْهِ أَشْهُرٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى جَاءَ يَعْتَذِرُ لِبُسْرَةَ قَائِلًا: إِنَّ عَمَلِي عِنْدَكَ يَصْرِفُنِي بَعْضَ الشَّيْءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَمْرٌ هَاجِرْتُ مِنْ بِلَادِي مِنْ أَجْلِ أَنْ أَصْحَبَهُ صَحْبَةً تَامَةً، وَمَا أَحَبُّ أَنْ تُجْمَعَ لِي الدُّنْيَا وَأَنْ أُحْرَمَ يَوْمًا مِنْ صَحْبَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقبلت المرأة عذرَ أجيرها، وانتهى عمل أبي هريرة، وعاد إلى سيرته الأولى، عاد عريفاً لأهل الصُّفَّة، ملازماً لرسول الله قريباً منه.

— ٩ —

أَذَنَ مؤذُنُ رسولِ الله ﷺ بالخروج للجهاد، وَعَزَمَ رسول الله على أصحابه بالخروج في هذا الوجه، ورأى أبو هريرة شِدَّةَ عزيمة النبي عليه الصلاة والسلام، فقال في نفسه: لا بد من الخروج، ولو أن رسول الله سيبقى بالمدينة.

وخرج جيش المسلمين إلى مؤتة، وحضر أبو هريرة هناك المعركة الرهيبة التي زُلزلت لها القلوب، لكثرة ما كان فيها للأعداء الرومان من عددٍ كبير وعُدَّةٍ عظيمة، ولقلة عدد المسلمين وعُدَّتِهِمْ. وفي تلك المعركة رأى أبو هريرة ما يفعله الإيمان في المعارك، وكيف يُغني عن كثيرٍ من السلاح والعدد، وسمع فيها استهانة المؤمنين بأعدائهم.

ففيها سمع عبد الله بن رَوَاحَة — وكان أحدَ أمراء الجيش المسلم الثلاثة — يخطب الناس قبل الحرب حين أصابهم بعض الوهن فتردّدوا في خوض المعركة: (يا قوم، والله إنَّ التي تكرهون لَلَّتِي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة

ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينين: إما ظهور، وإما شهادة).

ورأى أثر كلمة ابن رَوَاحَة في القوم، فتشجعوا على خوض المعركة، وقالوا: صدق والله ابن رَوَاحَة.

وفي الصف أمام الأعداء بَرَقَ بصرُ أبي هريرة لما رأى من العُدَّة والسلاح والكُراع – الخيل – والديباج والحرير والذهب، في صفوف الأعداء؛ ولاحظ ذلك ثابتُ بنُ أقرم في وجهه، وكان يقف إلى جانبه، فقال له:

يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ فقال: نعم، فقال ثابت: إنك لم تشهد معنا بديراً، إنما لم نُصر بالكثرة.

ورأى أبو هريرة بأم عينيه انتصارَ الإيمان، وشاهد تقهقر الرومان، وتوقفهم عن القتال، بسبب حُسْنِ بلاء المسلمين وصبرهم وصمودهم أمام ذلك الجيش الكثيف.

كانت معركة مؤتة في النصف الأول من السنة الثامنة للهجرة، تلك السنة التي كانت السنة الثانية في صحبة أبي هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام. ولم يكن هذا المشهد هو المشهد الوحيد الذي شهده أبو هريرة فيها، فقد حفل عامُّه هذا بالمشاهد الإسلامية العظيمة، فبعد ثلاثة أشهر من مؤتة، توجه النبي ﷺ

بجيشٍ كثيفٍ لفتح مكة، وخرج من مدينته المنورة في شهر رمضان، وفاجأ قريشاً، وفتح الله عليه البلدة المكرمة، ودخلها عليه الصلاة والسلام وقد أحنى ظهره حتى كادت جبهته تمسُ قادمةً رحله، تواضعاً لله تعالى، وكان يتلو أثناء ذلك سورة الفتح .

كان أبو هريرة قريباً من النبي عليه الصلاة والسلام، ولقد كلفه قبل دخول مكة بمهمة عظيمة، طلب إليه أن يدعو إليه الأنصار، ففعل، ثم كان قريباً منه بعد تمام الفتح . وكان سروره بالغاً حينما رأى رسول الله ﷺ يأتي على الأصنام المنصوبة حول البيت، فيطعنُها بعود كان في يده ويقول: «جاء الحقُّ وزهقَ الباطل، جاء الحقُّ وما يُبدىء الباطل وما يعيد». وشارك أبو هريرة بتكسير تلك الأصنام ورميها خارج المسجد، وتمنى يومئذ أن يقترب يومُ أصنام قومه: (ذي الخلصة، وذو الكفين، وذو الشرى)، وأن يحلَّ فيها ما حل (بُهْل، ومناة، وإساف، ونائلة)، وغيرها من أصنام الحرم .

وبعد الفتح الأكبر شهد أبو هريرة مشهداً آخر لا يقل عن فتح مكة في جلاله، ذلك المشهد هو يوم حُنين، الذي زلزل فيه المسلمون زلزالاً شديداً؛ بسبب غفلتهم عن الاعتماد على ربهم واغترارهم بعددهم الكثير، ورأى كيف أن ثبات النبي عليه الصلاة

والسلام وثبات عددٍ قليلٍ من أصحابه وبطولاتهم قد غير وجه المعركة، وقلب الهزيمة نصراً، ويومها أدرك إدراكاً عظيماً المعنى الكبير والصورة الواضحة لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ ۞ ﴾

ورأى أبو هريرة عظمة قيادة النبي عليه الصلاة والسلام للجيش، فهو لم يكتف بذلك النصر المؤزر في حنين، بل أصدر أوامره بتتبع العدو إلى الطائف حيث فر (مالك بن عوف) قائدهم، وحوصرت الطائف، وتحصنت قبيلة ثقيف ببلدتها، واشتد الحصار، وزُلزلت ثقيف، لكنها صمدت اعتماداً على مناعة سورها، ورأى النبي عليه الصلاة والسلام أن يفك الحصار عن هذه البلد، ورجا أن يؤمن أهلها بعد حين، وكان بعد وقتٍ قصير ما رجاه النبي عليه الصلاة والسلام.

وبعد حصار الطائف شهد أبو هريرة موقفاً أثار أشجانه وعواطفه، ونُقشَ في ذاكرته، وظل يحدث به زمناً طويلاً.

شهد أبو هريرة تقسيم النبي ﷺ للغنائم التي حازها المسلمون يوم حنين - وكانت غنائم عظيمة وكبيرة - ورأى كيف أعطى النبي عليه الصلاة والسلام سادة قريش ووجوه العرب عطاءً عظيماً ليتألف قلوبهم، وسمع يومها صفوان بن أمية يقول:

(إن الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا - أي العطاء -، ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبي! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

ورأى أبو هريرة وجَدَ الأنصار على رسول الله لأنه أعطى غيرهم ولم يعطهم، وسمع كلمة جعل بعض الناس يتهامون بها: (لَقِيَ رسول الله قومه). وشاهد يومها غضب النبي لهذه الكلمة، وكيف أنه أمر أحد زعماء الأنصار أن يجمع له قومه، ورأى الأنصار يتجمعون ثم يذهب إليهم رسول الله ويتحدث إليهم قليلاً، ثم ينفضون عنه وهم فرحون مستبشرون، قد زال عنهم ما كان بهم من وجْدٍ وحزن.

وتأقت نفس أبي هريرة لمعرفة ما جرى بين النبي والأنصار، وتمنى أن يعلم ماذا كلمهم رسول الله ﷺ حتى حوّل غضبهم إلى

رضاً وحزنهم إلى فرح، وسعى إلى شابٍ حَدَثٍ منهم، ولكنه
ليِبُّ فِطْنٍ، هو أبو سعيد الخدري، وقال له: اجلس أبا سعيد
حدثني عما جرى بينكم وبين رسول الله وماذا قال لكم. وجلس
أبو سعيد يحدث أبا هريرة ويقول:

خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر الأنصار، ما قاله
بلغتني عنكم، وجِدَّةٌ وجدتموها عليّ في أنفسكم؟! ألم آتكم
ضُلاًّلاً فهداكم الله، وعالَةً فأغناكم الله، وأعداءً فألف الله
بين قلوبكم»؟! .

وقلنا: بلى، واللهُ ورسولُهُ أَمَنٌ وأفضل.

ثم قال لنا: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار». فقلنا: بماذا
نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المَنُّ والفضل، فقال عليه الصلاة
والسلام: «أما والله لو شئتم لقلتم فلَصَدَقْتُمْ وُصِدَّقْتُمْ: أتيتنا مكذباً
فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً
فأسيناك

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا،
تألفتُ بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ .

ألا تَرْضَوْنَ يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير،
وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم؟ فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لولا

الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سَلَكَ الناس شِعْباً وسلكت
الأنصار شِعْباً؛ لسَلَكْتُ شِعْب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار،
وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»!! .

وسمع القوم يا أبا هريرة كلامَ رسول الله، فتأثروا به وبكوا
حتى أَخَضَلُوا لحاهم، وقاموا إلى رسول الله فقالوا له: (رضينا
برسول الله قَسَماً وحظاً).

وبكى أبو هريرة لما سمعه من أبي سعيد الخدري، وأدهشه
ذلك الدرس البليغ من دروس التربية العالية الذي ألقاه
رسول الله ﷺ على الأنصار، فارتفع بهم إلى مستوى عالٍ رفيعٍ
من مستويات الإيمان والتصديق والزهادة في عَرَض الدنيا.

— ١٠ —

نحن الآن في نهاية السنة الثامنة للهجرة، وقد أوشكت أن
تمضيَ ستان على الصحبة الكريمة. لقد كانت الستان حافلتين
بالملازمة التامة لرسول الله ﷺ، وبحضور المشاهد معه. ورأى
النبي عليه الصلاة والسلام أن أبا هريرة قد حَصَلَ نصيباً طيباً من
العلم، وأنه قد أصبح أهلاً للدعوة إلى الله ورسوله، وتفقيه الناس
في دين الله، لذا عزم على إرساله إلى البحرين مع العلاء بن
الحضرمي، ففي البحرين ملكٌ عاقل هو (المندر بن ساوى)؛ وهو

يرحّب بأن يرسل النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ يعرض على قومه الإسلام.

وأطلع النبي أبا هريرة على رغبته في ذهابه إلى البحرين مع العلاء، فصعّب عليه فراق رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأوشك أن يطلب منه أن يُعفيه من هذا الأمر، لكنه خشي أن يكون في ذلك معصية لرسول الله، وأدرك أنّ طاعته عليه الصلاة والسلام لا تكون في المنشط فقط، بل تكون في المنشط والمكره، فقال له: إنه يعزُّ عليّ فراقك يا رسول الله، ولكنني أطيعك فيما أحببت.

وأرسل النبي عليه الصلاة والسلام وراء العلاء بن الحضرمي، فحمّله الرسالة التالية إلى المنذر بن ساوى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المنذر ابن ساوى:

سلام على من اتّبع الهدى، أما بعدُ: فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر... واعلم أنه من صلّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا».

ثم قال النبي عليه السلام للعلاء: «إن أجابك فأقم حتى

يأتيك أمري، وخُذ الصدقة من أغنيائهم، فردّها في فقرائهم». ثم أوصاه خيراً بأبي هريرة.

وانطلق أبو هريرة من المدينة بصحبة العلاء بن الحضرمي، بعد أن ودّع النبي عليه الصلاة والسلام وكان آخر ما سمعه منه: «أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه». وودّع أمّه وسار وهو جدّ حزين لفراق رسول الله ﷺ، ورأى العلاء الحزن في وجه أبي هريرة، فأقبل عليه وقال له: مالك يا أبا هريرة حزيناً؟ فأجابه: والله لست حزيناً على شيء إلا على فراق رسول الله ﷺ، وعلى ما يفوتني من حديثه، فقال له العلاء: طبّ نفساً أبا هريرة، فإنّ لك منزلةً عند رسول الله وإنه يحبك، ولقد أوصاني بك خيراً فانظر ما تحب أصنعه لك.

وسرّي عن أبي هريرة بعضُ حزنه، وقال للعلاء: اجعلني أؤذن لك، ولا تسبقني بآمين! فأجابه العلاء: لك ما أحببت يا أبا هريرة، ولكن أخبرني لماذا تريد هذين الأمرين؟ فأجابه: سمعت رسول الله ﷺ يقول في النداء: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة». وسمعتة يقول: «إذا أمّن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه».

وتعجب العلاء من حرص أبي هريرة على الثواب، وسرّه روايته لحديث النبي ﷺ، وفرح بصحبته أيما فرح.

وفي البحرين دفع العلاء بن الحضرمي كتاب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي، وعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه أبو هريرة القرآن وحديثه بحديث رسول الله ﷺ، فأسلم الرجل، وأسلم كثير من قومه بإسلامه، وكتب العلاء بذلك إلى رسول الله .

وفي البحرين دوى صوت أبي هريرة بالنداء الكريم: (الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله... إلخ). وكان الناس من أهل البحرين يهرعون إلى الصلاة كلما سمعوا هذا النداء، ويقفون صفواً خلف العلاء، ويقف أبو هريرة وراءه تماماً، ثم يؤذون صلاتهم.

وهناك أمضى أبو هريرة شهراً من حياته، يبلغ فيها دعوة الله، ويعلم الناس الإسلام، وسعد بصحبة أميره العلاء بن الحضرمي، وصحبة الرجل الكريم المنذر بن ساوى، ورأى منهما كل خير.

— ١١ —

أمضى أبو هريرة ما يزيد على ستة أشهر من العام التاسع للهجرة في البحرين بصحبة العلاء بن الحضرمي، واجتهد في دعوة الناس إلى الله ورسوله، وأقبل الناس بدعوته ودعوة العلاء

على الإسلام. لكنَّ أبا هريرة كانت نفسه تتوق إلى العودة للمدينة، والعيش مع أحب الناس إليه: رسول الله ﷺ، وصار يدعو ربَّه أن يهَيِّئَ له سبيلاً إلى العودة. واستجيب دعاؤه، فها هو ذا (أبان بن سعيد بن العاص) قد جاء والياً على البحرين من قِبَل رسول الله ﷺ، وهو يحمل معه أمره عليه السلام للعلاء ولأبي هريرة بالعودة إلى المدينة.

وليس يعلمُ إلا اللهُ كم كان سرور أبي هريرة بعودته إلى المدينة، ورؤيته رسول الله.

ورجع أبو هريرة إلى موضعه في الصَّفَّة، وعاد عريفاً لأهلها، ولزم رسول الله من جديد، وعاد يطلب العلم بنهم شديد ورغبة فائقة، يريد أن يعوِّض ما فاتَه أثناء غيابه في البحرين.

وفي شهر رجب من هذا العام خرج في جيش المسلمين العظيم الذي كان رسول الله ﷺ يقوده إلى تبوك، وتحمل هو وسائر الصُّحْب الكرام مشقَّةً بالغةً في تلك الغزوة التي بعُدَت شُقَّتْها، وسجَّلت ذاكرته صُوراً كثيرة لتلك الرحلة الصعبة، كان منها هذه الصورة الرائعة ذات الدلالات الكثيرة. يقول أبو هريرة:

(لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعةً، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنتَ لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادَّهنا، فقال

رسول الله ﷺ: «افعلوا». وجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلَّ الظَّهْر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله: «نعم»، فدعا ينطع – بساط من جلد – فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكفّ ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملأوه، فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ، فيُحْجَبَ عن الجنة».

وفي موسم الحج من هذا العام استأذن أبوهريرة رسول الله ﷺ في أن يذهب بصحبة أبي بكر الصديق – أمير الحج – لأداء هذه الفريضة، فأذن له، فذهب معه وأدى الفريضة، وكلفه أبو بكر مع جماعة من الصحابة أن ينادُوا بالحجيج جميعاً – وكان الحج يجمع المسلمين والمشركين – بهذه الكلمات:

(أيها الناس: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف

بالبیت عُریان، ولا یجتمع مسلمٌ مع مُشْرِکٍ فی الحج بعد عامهم هذا، ومن کان له عهد فعهدہ إلی مدته، ومن لم یکن له عهدٌ فأربعة أشهر).

ونادی أبو هريرة وأصحابه بهذه الکلمات فی منی، وطاف بها علی خیام الحجيج، وُبِحَّ صوته لکثرة ما نادى. ثم قام مع علي بن أبي طالب - وكان قد أرسله النبیُّ علیه الصلاة والسلام بآیاتٍ من سورة براءة یقرأها علی الناس - فجعل یقرأ هذه الآیات معه علی الناس ویقول: (ذمة الله بريئةٌ من کلِّ مشرک، فسیحوا فی الأرض أربعة أشهر، ولا یحجَّنْ بعد العام مشرک، ولا یطوفنَّ بالبیت عُریان، ولا یدخل الجنة إلا مؤمن). وكان یتناوب هو وعليُّ تبلیغ هذا النداء حتی بُحَّ صوته، وحتى بلغَ جمیع الحجيج بلاغ رسول الله ﷺ.

— ١٢ —

كانت السنة العاشرة للهجرة سنةً هادئةً فی حياة رسول الله ﷺ، فلم یتخللها جهاد، ولا كثرة غیابٍ عن المدينة، فقد فَتَحَ الله علی نبيِّه جزيرة العرب کلَّها، وأتته الوفودُ بعد فتح مكة من کل جهة، لذا أقام رسول الله ﷺ طيلة أشهر هذه السنة فی مدينته الطيبة، إلا ما كان من خروجه فی نهايتها لأداء حَجَّةِ الوداع.

وَنِعَم أَبُو هَرِيرَةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِكَثْرَةِ مِلَازِمَتِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَثْرَةِ تَعَلُّمِهِ مِنْهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ هِيَ السَّنَةُ الرَّابِعَةُ لَصَحْبَتِهِ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَلَمْ يُتَخَّ لَهُ فِي أَيِّ سَنَةٍ سَبَقَتْ مَا أُتِيحَ لَهُ فِيهَا، فَقَدْ أَزْدَادَ عَطْفَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ، وَأَزْدَادَ هُوَ رَغْبَةَ فِي الْعِلْمِ، وَصَارَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخْصُهُ بِبَعْضِ الْوَصَايَا، فَيَحْفَظُهَا عَنْهُ وَيَعْمَلُ بِهَا.

قَالَ لَهُ مَرَّةً: «يَا أَبَا هَرِيرَةَ، كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسَنَ جَوَارٍ مِنْ جَاوِرِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَّ الضَّحْكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكَ تَمِيتُ الْقَلْبَ».

وَأَوْصَاهُ مَرَّةً ثَانِيَةً بِأُمُورٍ ثَلَاثَ، ذَكَرَهَا أَبُو هَرِيرَةَ فَقَالَ:

(أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرُكْعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوْتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ).

وَكَثُرَتْ وَصَايَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي هَرِيرَةَ، بَلْ جَعَلَ يَخْصُهُ بِبَعْضِ الْعِلْمِ وَيَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَبِثَّهُ، وَكَثُرَ ذَلِكَ الْعِلْمُ الْخَاصُّ، حَتَّى إِنَّ أَبَا هَرِيرَةَ قَدْ أَصْبَحَ — بَعْدَ مَا صَارَ كَبِيرَ مُعَلِّمِي الْإِسْلَامِ فِيمَا بَعْدَ، وَبَعْدَ مَا صَارَ بَعْضُ النَّاسِ يَنْقُدُونَ كَثْرَةَ رَوَايَاتِهِ عَنِ النَّبِيِّ — أَصْبَحَ يَصْرِّحُ لِلنَّاسِ أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمًا مَا بَاحَ بِهِ وَلَنْ يَبُوحَ، وَيَقُولُ:

(رُبَّ كَيْسٍ عِنْدَ أَبِي هَرِيرَةَ لَمْ يَفْتَحْهُ). وَيَقُولُ: (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوَبَّشْتُهُ قُطِعَ مِنِّي هَذَا الْبَلْعُومُ). وَكَانَ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَوْرِ رُبَّمَا قَطَعُوا رَأْسَهُ إِذَا سَمِعُوا عِيَهُ لِفَعْلِهِمْ، وَتَضْلِيلَهُ لَسَعِيهِمْ.

— ١٣ —

وَجَاءَ رَمَضَانَ، وَاعْتَكَفَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فِي مَسْجِدِهِ عَشْرِينَ يَوْمًا هَذِهِ السَّنَةِ، وَكَانَ قَدْ عَوَّدَهُمْ أَنَّ يَعْتَكِفَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، وَسَعِدَ أَهْلُ الصُّفَّةِ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَسَعَدُوا كَذَلِكَ بِمَجِيءِ جَبْرِيلَ إِلَيْهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ يَعْرُضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِمَا كَانَ يَظْهَرُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مِنْ تَعَبٍ وَإِرْهَاقٍ.

وَكَانَ أَسْعَدَهُمْ بِهِ أَبُو هَرِيرَةَ، فَقَدْ اعْتَكَفَ مَعَهُ وَعَاشَ إِلَى جَنْبِهِ.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَصْحَابَهُ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ، وَجَمْعِهَا فِي بَيْتِ رَيْثِمَا يَدْفَعُهَا لِأَصْحَابِهَا الْفُقَرَاءَ، وَجَعَلَ أَبَا هَرِيرَةَ قِيَمًا عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَقَامَ بِعَمَلِهِ خَيْرَ قِيَامٍ، وَجَعَلَ يَتَفَقَّدُهَا طَرَفِي النَّهَارِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْهَا فَيَرَاهَا كَمَا هِيَ فَتَرْتَاحَ نَفْسُهُ وَيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ.

وفوجيء أبو هريرة عَشِيَّةَ يومٍ داخل غرفة الصدقات بشخص غريب لا يعرفه، ومعه وعاء يملؤه من تمر الصدقة فهجم عليه أبو هريرة، وانتهره وأمسكه بيديه قائلاً له: لأرفعنَّ أمرك إلى رسول الله ﷺ، فليعاقبَنَّكَ.

وجعل الرجل يستعطف أبا هريرة ويقول له: إني محتاج ولي عيال، وبني حاجة شديدة، واستطاع أن يكسب عطف أبي هريرة فتركه ظناً منه أنه إنما اضطر للسرقة لحاجته، وفوجيء أبو هريرة في الصباح بالنبي عليه الصلاة والسلام يقول له: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟».

وأجاب أبو هريرة: يا رسول الله، شكنا حاجة شديدة وعيالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فقال له: «أما إنه كذبك وسيعود».

وأيقن أبو هريرة أن ذلك الرجل سيعود لقول النبي عليه الصلاة والسلام، فترصد له في الليلة التالية، فجاء وفتح باب بيت الصدقات ودخل وجعل يحشو من التمر الذي فيه، وداهمه أبو هريرة، وأمسكه هذه المرة بعنف وقال: أما وعدتني أنك لا تعود؟ لا جرم سأرفعنَّ أمرك إلى رسول الله ولأفضحنك في المسلمين. ولكن ذلك الرجل كان لسنناً، قوي المنطق، حار الاستعطاف، فاستطاع أن يكسب عطف أبي هريرة ثانية، وأن ينجو من قبضته.

ومرة ثانية سمع أبو هريرة رسول الله ﷺ يقول له: «ما فعل أسيرك؟» فيجيبه أبو هريرة: شكا حاجةً شديدةً وغيالاً فرحمته وخلّيتُ سبيله، وقال عليه الصلاة والسلام: «أما إنه كذبتك وسيعود».

وللمرة الثالثة قبض أبو هريرة عليه وهو يسرق من مال الصدقة، فصرخ فيه صرخةً قويةً واندفع نحوه، وأمسكه بغضب، وقال له: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فهذه ثالث مرة تزعم أنك لا تعود ثم تعود!!.

وضغط أبو هريرة بقبضته على ذراع ذلك الشخص، وأخذ بيده الأخرى بتلابيبه وجذبه جذبةً قويةً، وأدرك ذاك أن الأمر جدّ، وأعمل فكره ليوجد حيلةً ينجو بها من الأسر الذي وقع فيه، وانتهى إلى حيلةٍ بارعةٍ، فهذا الرجل الذي يأسره يمكن أن يؤتى من التحدّث معه في أمور العلم فالعلم أشهى عنده من كل شيء، ومسائل العلم يطلبها بالغالي والرخيص، وقال لأبي هريرة: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

وسمع أبو هريرة بكلمة (أعلمك) فارتخت قبضته، وهذا غضبه، وقال له فوراً: وما هن؟ فأجابه: إذا أُوتيت إلى فراشك، فاقراً آية الكرسي: **«اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ**

وَلَا نَوْمٌ». حتى تختتم الآية، فإنه لا يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح.

وقعت هذه الكلمات موقعها العظيم في قلب أبي هريرة، فقد كان يعظم هذه الآية، وأيقن أن صاحبه يصدقه هذه المرة، وخَرَجَ بهذا العلم الذي تعلمه، فأطلق سراح أسيره بعد أن اشترط عليه ألا يعود.

وبعد صلاة الفجر من الغد قام أبو هريرة من مجلسه وجلس إلى جانب النبي عليه الصلاة والسلام، فأَسْرَّ إليه النبي: «ما فعل أسيرك؟» فقال أبو هريرة: زَعَمَ أنه يعلمني كلماتٍ ينفعني الله بها فَخَلَيْتُ سبيله، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «وما هن؟» فأخبره أبو هريرة بها، وتَبَسَّمَ النبي عليه الصلاة والسلام ورضي بصنيع أبي هريرة وقال له: «أما إنه صَدَقَكَ وهو كذوب».

وتعجَّب أبو هريرة من قولة النبي عليه الصلاة والسلام في الرجل، وقطع النبي تعجُّبه بقوله له: «تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ؟» ويقول أبو هريرة: لا، فيقول عليه الصلاة والسلام: «ذاك شيطان».

تَجَهَّزَ رسول الله ﷺ في نهاية هذا العام لأداء فريضة الحج، وأرسل في القبائل يدعوهم للخروج معه، ولَّى المسلمون دعوة رسول الله، وانطلق النبي عليه الصلاة والسلام ومعه ألوف كثيرة من الناس في نهاية ذي القعدة متوجَّهاً إلى مكة المكرمة.

وشهد أبو هريرة أعظم حشدٍ من الناس رآته عيناه في عمره، وشارك في أعظم رحلةٍ كانت له في حياته، ورأى في تلك المسيرة المباركة أموراً رائعة: رأى حبَّ المسلمين الذي لا يوصفُ لنبیهم عليه الصلاة والسلام والتفافهم حوله، وتعبيرهم عن هذا الحبِّ بكلامهم له وخطابهم إياه، وابتدأهم ماء وضوئه ومسحِ وجوههم به، وابتدأهم شعره الشريف حين كان يحلق. ورأى المعجزةَ الكبيرة التي أجراها الله على يدي نبيه عليه الصلاة والسلام في تأليف قلوب مئات القبائل، وكانت بالأمس متناحرةً لا تكفُّ عن سفكِ دماءٍ بعضها.

وسمع أبو هريرة رسولَ الله ﷺ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ خذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» ففتح قلبه وعقله، وجعل يتَّبَعُ أفعال النبي عليه الصلاة والسلام وأقواله، ولم يدع كلمةً ولا حركةً للنبي تفوته، على الرغم ممَّا كان يصيبه من الأذى بسبب الزحام الهائل، فقد كان

الناس يتقاصفون^(١) على رسول الله ﷺ، ويركب بعضهم بعضاً؛
ليسمعوا كلامه، وليتباركوا برؤيته، وليسعدوا بالقرب منه.

وأدّى الرُّكْبُ الميمون مناسِكَ الحج، واثَّم المسلمون جميعاً
برسول الله ﷺ، وأخذوا عنه أعمالَ الحج، وسعدوا بصحبته، ثم
عادت القبائل إلى بلادها، وعادَ رسولُ الله ﷺ إلى مدينته الطيبة.

وفي المدينة المنورة أدرك أبو هريرة أنه قد تزوّد من هذه
الرحلة بزادٍ عظيم من الإيمان واليقين والمحبة والفقهِ، لكن كلمة
من كلمات النبي عليه الصلاة والسلام كان قد سمعها منه
في الموقف من أرض عَرَفة أورثته حَزَنًا، وفعلت في نفسه فعلاً
عجيباً؛ هذه الكلمة هي قوله عليه الصلاة والسلام:

«أيُّها النَّاسُ، اسمعوا مِنِّي، لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا».

وتساءل أبو هريرة: ماذا يقصد رسول الله ﷺ من كلمته هذه؟!
أو قد شعر أنَّ أجله قد اقترب، فأنذر أُمَّته بذلك! ما أعظمَها مصيبةً
أن أفقَدَ رسولَ الله ﷺ، إن صحبتي له لم تطل، فيالهلول خسارتي
إذا حُرمتُ هذه الصحبة!!.

وعزم أبو هريرة على مزيدٍ من الانتباه للنبي ﷺ والملازمة له،

(١) يتقاصفون: يزدحمون.

فجعل لا يدع دقيقةً تفوته، واستجمعَ كاملَ وعيه، وكثرت أسئلته، وصار يقول للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله أوصني، فيستجيب له، ويطلعه كلَّ حين بوصاياهِ الخالدة الكريمة.

— ١٥ —

جلس أبو هريرة يوماً بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام في نفرٍ من الصحابة، منهم: أبو بكر وعمر، وأطرق أبو هريرة سمعه لحديثه صلوات الله وسلامه عليه، واستمتع فترة من الوقت بتلك الجلسة المباركة. لكنَّ النبي عليه الصلاة والسلام فاجأهم بأن قام من مجلسه، وانصرف بعيداً، فعلموا أنه ذهب لقضاء حاجة، وجلسوا ينتظرونه بلهفة.

وطالت غيبة النبي عليه الصلاة والسلام، وفزع الحضور لذلك، وكان أشدهم فزعاً أبو هريرة، فقام من بينهم مُسرِعاً، وقال لهم: أنا ذاهب وراء رسول الله ﷺ، فإني أخشى أن يكون قد حَدَثَ له أمر، ثم انطلق، وقام بقية الصحابة وراءه يطلبون النبي ﷺ.

اتَّجَه أبو هريرة إلى بستان قريب من بساتين الأنصار ظنَّ أنَّ النبي ﷺ قد دخله، وطاف حوله ليجد مدخلاً يدخل منه فلم يجد، ثم طاف ثانية وثالثة فلم يجد إلا ثُغرة صغيرة في جدار البستان يدخل منها نهر

صغير، فما كان منه إلا أن ضمَّ بعضه إلى بعض وتحفَّز، ثم دخل البستان، وجرى فيه يبحث عن النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا بالنبي يفاجئه بطلعته البهيَّة، وسكَنَ جَزَعُ أَبِي هريرة، وقرأ عليه الصلاة والسلام ما كان في وجهه، وأراد تطيِّبَ خاطِرَه بأحبِّ الأمور إليه، بالكلمة يَعْلَمُه إياها، فقال له: «أبو هريرة»؟ فأجاب: نعم يا رسول الله.

«ما شأنك»؟ فأجاب: (كنت بين أظهرنا فقمّت، فأبطأت علينا، فخشيتُ أن تُقْتَطَعَ دوننا، ففرعنا، فكنتُ أوَّل من فزع، فأتيتُ هذا الحائط - البستان - فاحتفزتُ كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي).

وتبسَّم النبي عليه الصلاة والسلام، وخلع نعليه وأعطاهما أبا هريرة ليذهب بهما علامةً على أنه وجد النبي عليه الصلاة والسلام وقال له:

«من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه، فبشِّرهُ بالجنة».

وتضاعف فرحُ أَبِي هريرة، فقد فرح لعثوره على النبي عليه الصلاة والسلام، وفرح بهذه الكلمة الطيبة التي حمَّله إياها، وترك النبي وأسرع يريد أن يبشِّرَ إخوانه. ولم تطل فرحة أَبِي هريرة فقد عكَّرها عليه عمر بن الخطاب - وكان أول من لقيه من الناس -

فقد أراه أبو هريرة نَعْلِيَّ النبي وبَشَّرَه برؤيته إياه، ونقل إليه البشارة النبوية فقال له عمر: لا تَقْلُهَا للناس يا أبا هريرة، وعُدْ معي إلى رسول الله ﷺ، ولكنَّ أبا هريرة لم يستجب لعمر وأراد استقبال الناس يبشِّرهم، فما كان من عمر إلا أن أمسكه وتململ أبو هريرة يريد أن يفلت من قبضته، فَضْرَبَهُ عمرُ على صدره ضربةً موجعةً، فتألَّم أبو هريرة، وعاد حزيناً إلى رسول الله، وشكا إليه صنيعَ عمر... ووصل عمر إلى رسول الله ﷺ وطابت نفسه برؤيته، وبأدْرَهُ النبيُّ عليه الصلاة والسلام قائلاً: «يا عمر ما حملك على ما فعلت؟» وكشف عمر عن سرِّ عمله بقوله: (يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشِّره بالجنة؟) فقال: «نعم»، قال عمر: فلا تفعل، فإنني أخشى أن يتكَلَّ النَّاسُ عليها، فخلَّهم يعملون. ورأى رسول الله أن رأيَ عمر وجيه، فوافق عليه وقال له: «خلَّهم».

وطابت نفس أبي هريرة حين رأى النبي عليه الصلاة والسلام قد وافق عمر، وتقدَّم إليه عمر فَمَسَحَ على صدره، وقال له: ما أردتُ إلا الخير يا أبا هريرة، فلا تجدْ عليَّ في نفسك، وتبَسَّم أبو هريرة، وأخفى كلمة النبي ﷺ في صدره، ولم يحدث بها إلا بعد وفاته خوفاً من أن يَأْثِمَ إن هو كتمها.

لم تطل حياة النبي عليه الصلاة والسلام بعد حَجَّة الوداع، فلم يكتمل له صلوات الله وسلامه عليه حتى ثلاثة أشهر، فمرض واشتدَّت عليه آلام المرض وقاسى من شدائده؛ ومنعه المرض من الصلاة بالناس، فأمر أبا بكر أن يصليَ بهم فصلَّى لهم عِدَّة صلوات.

ووجد النبي عليه الصلاة والسلام من نفسه نشاطاً في يوم من أيام مرضه، فخرج على أصحابه، فجلس على المنبر وحَمِد الله وأثنى عليه وأوصاهم خيراً ثم قال لهم:

«أيها الناس، إِنَّ عبداً من عباد الله قد خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله؛ فاختار ما عند الله».

وظنَّ كثير من الناس أن رسول الله ﷺ يقصد رجلاً صالحاً، خيَّره الله هذا التخيير، وفَظِنَ أبو بكر لما يقصده النبي عليه الصلاة والسلام، فبكى وقال له:

(بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا).

وازدادت أحزانُ أبي هريرة بعد الذي سمع ورأى، وتعكَّر عليه صفوُ الحياة، فهو لم يجلس إلى رسول الله ﷺ منذ أيام، ولم يسعد برؤية وجهه الكريم إلا لمأماً. وكانت كلمةُ أبي بكر

موضوعَ حديث أهل الصِّفَّة عامَّة يومهم، والتفت أبو هريرة إلى جاره أبي مُوَيْهَبَةَ - وكان من خَدَمِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام - فقال له: أُويعني رسولُ الله نفسه في كلمته التي قالها على المنبر والتي أجابه عليها أبو بكر؟ فقال أبو مُوَيْهَبَةَ: ما أظنُّ إلا ذلك يا أبا هريرة، فقد بعثني رسولُ الله من أيام وقبل أن يمرض من جوف الليل، فقال: يا أبا مويهبة، إني قد أُمِرْتُ أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم قال:

«السلام عليكم يا أهل المقابر، لِيَهْنَأُ لَكُمْ ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتنُ كقطع الليل المظلم يتبع آخرُها أولُها. الآخرة شرُّ من الأولى».

ثم أقبل عليَّ فقال: «يا أبا مُوَيْهَبَةَ، إني قد أُوتيت مفاتيحَ خزائنِ الدنيا والخلدِ فيها ثم الجنة، فخيرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة».

فقلت له: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيحَ خزائنِ الدنيا والخلدِ فيها ثم الجنة.

فقال لي: «لا والله - يا أبا مُوَيْهَبَةَ - لقد اخترت لقاء ربي والجنة».

ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف، وقام من صباحه يشكو وجعه هذا.

— ١٧ —

حجب المرضُ رسولَ الله ﷺ عن أصحابه، فحزنوا لذلك، وافتقده أهل الصُّفَّة وحزنوا لذلك حزناً شديداً ولا سيما أبو هريرة الذي تَأَقَّتْ نفسه كثيراً لرؤيته؛ فما كان منه إلا أن تَجَرَّأً واستأذن عليه، فَأَذِنَ له فَدَخَلَ وَسَلَّم وهو قائم، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام متسانداً إلى صدر علي بن أبي طالب، ويدهُ على صدره ضامَّةً إليه، وقد بسط عليه السلام رجله، فدمعت عينا أبي هريرة للذي رأى، ونظر إليه النبيُّ نظرةً حُبٍّ وحنان وقال له: «ادنُ يا أبا هريرة»، فدنا، ثم قال له: «ادنُ يا أبا هريرة»، فدنا حتى مسَّتْ أطرافُ أصابعه أصابعَ النبيِّ ﷺ، ثم قال له: «اجلس» فجلس، فقال له: «ادنُ مني طرفَ ثوبك» فمدَّ أبو هريرة ثوبه فأمسك بيده، ففتحه وأدناه من النبيِّ ﷺ، فقال له النبيُّ ﷺ: «أوصيك يا أبا هريرة بخصالٍ لا تدعهنَّ ما بقيت» فقال أبو هريرة: أوصني ما شئت، فقال النبيُّ عليه الصلاة والسلام:

«عليك بالغسل يوم الجمعة، والبكور إليها، ولا تَلْغُ ولا تَلْهُ،

وأوصيك بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، فإنه صيام الدهر،
وأوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما، وإن صليت الليل كله فإن فيها
الרגائب»، ثم قال: «ضم إليك ثوبك» فضم ثوبه إلى صدره،
وقال: يا رسول الله — بأبي أنت وأمي — أسر هذا أو أعلنه؟ فقال:
«أعلنه يا أبا هريرة».

وخرج أبو هريرة من عند رسول الله ﷺ بعد أن قضى حاجة
في نفسه، فقد كحل ناظريه برؤية النبي عليه الصلاة والسلام،
واستفاد منه علماً جديداً، ولكنه — لهف نفسي — ما درى يومها أنها
آخر كلمات يسمعها من فم النبوة المطهر!!.

— ١٨ —

فوجيء أهل الصفة ضحى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١
من الهجرة بأقسى نبياً سمعوه في حياتهم، قيل لهم: إن
رسول الله ﷺ قد توفي، فأظلمت الدنيا أمامهم، واسود كل شيء
في ناظرهم، وغشيتهم الأحزان، وسالت الدموع غزيرة من
مآقيهم، ولا تسأل عن حزن أبي هريرة، فقد كان ذهاب الدنيا
بما فيها، وهلاك نفسه والناس أجمعين؛ أهون عليه من وفاة
رسول الله ﷺ، فانطوى على نفسه يبكي وينعى عليها ما فاتها من
الخير العميم بفقدته عليه الصلاة والسلام.

وسرى نبأ وفاته عليه الصلاة والسلام في المدينة سريان النار في الهشيم، وأسرع الناس إلى المسجد، وتجمعوا وقد أصابهم ذهولٌ عظيم، وقامَ عمر في الناس يقول: إِنَّ رسول الله ما مات، وكان قد أصابه أشدُّ مما أصاب الناس من هول الفاجعة!! وجاء الصديق، فدخل على النبي عليه الصلاة والسلام، ونظر إليه وتيقن من وفاته، فقبله وقال له: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً، ثم خرج على الناس في المسجد فوقف بين ظهرانيهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إِنَّ الله تعالى يقول:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقِلْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

وبعد تلاوة هاتين الآيتين قال لهم: (فمن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ومن كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات).

وأذهبت كلمة أبي بكر ذهولَ الناس، وفتحت عقولهم على

المصيبة، وأيقنوا أنهم نُكِبُوا بالنكبة الكبرى، وأنهم قد فقدوا نبيهم عليه الصلاة والسلام.

* * *

وانتهت بوفاته عليه الصلاة والسلام سنوات أربع من الصحبة الكريمة، كانت أسعدَ سني أبي هريرة رغم ما لقي فيها من ضنك الحياة... لقد أخذ في هذه السنوات عن النبي عليه الصلاة والسلام علماً جماً مباركاً، فقد وقف حياته معه لطلب العلم، وَوَجَدَ فيه النبي عليه الصلاة والسلام طالباً من خيرة طلاب العلم وأذكاهم وأكثرهم رغبةً واجتهاداً، فأحبه وأفاض عليه من حنانه، واعتنى به، ودعا له، وخصه ببعض العلم، فأصابه بذلك توفيقٌ — أيما توفيقٍ — في الحفظ والفهم وكان آيةً من الآيات الباهرات، وعَلَمًا من أعلام النبوة الظاهرات.

**

أَمِيرُ الْبَحْرَيْنِ

— ١ —

شُغِلَ الصحابةُ رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ بأمر الردة التي حَصَلَتْ في معظم جزيرة العرب ، وبامتناع بعض القبائل عن دفع الزكاة لخليفة رسول الله ﷺ ، وقد أبلى الصحابةُ بلاءً عظيماً في قتال المرتدين ، واستشهد عددٌ كبير منهم في المعارك الطاحنة التي دارت رَحَافَتِها على أرض الجزيرة ، وكتب الله لهم النصرَ ، وهزم دعاة الردة ، وعاد الناس إلى الإسلام من جديد .

كان أبو هريرة شاهداً ومُشاركاً في تلك الأحداث ، وقد رأى موقفَ أبي بكر الصُّلب في مسألة قتال المرتدين وقتال مانعي الزكاة ، ومن قبل رأى موقفه أيضاً في مسألة إمضاء بَعْثِ أسامة بن زيد ، وذلك حين جَادَلَهُ بعض الصحابة ، وأشاروا عليه بِإِمْسَاكِ ذلك الجيش ، وألاَّ يُقاتل مانعي الزكاة ، وأُعْجِبَ بعزيمته القويَّة يومَها وببطولته الخارقة ، وبشباته ورباطة جأشه ، وسمع منه هذه الكلمات التي سَطَّرَها له التاريخ الإسلامي بأحرف من نور :

(أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم!! والذي نفسي بيده لأن يَمِيلَ عليَّ العربُ أحبُّ إليَّ من أنْ أحبسَ جيشاً بعثه رسول الله ﷺ!!).

(والله لأقاتِلَنَّ من فرَّق بين الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزَّكَاةَ حقُّ المالِ، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه!!).

(إنه قد انقطع الوحي وتمَّ الدين، أو ينقص الدين وأنا حيّ)؟! . وبعد القضاء على حركة الردة عرف الأصحاب جميعاً لأبي بكر موقفه العظيم في تلك الأحداث، وأقرُّوا له بالفقه العظيم وبيَّعوا النظر، وبالقوة النادرة والصَّلابة في الحق، ولم ينسَ أبو هريرة هذا الموقف العظيم للصدِّيق، فقد رواه لأجيالٍ من تلاميذه وبثَّه في الناس. قال يوماً لأصحابه وهو يذكر يوم الردة:

(والله الذي لا إله إلا هو؛ لولا أن أبا بكرٍ استخلف ما عُبدَ الله).

وكرَّرَ قَسَمَهُ هذا ثلاثاً.

وقال له قائل: مَهْ يا أبا هريرة!! .

وكشف لهم عن سرِّ قسمه العظيم فقال:

(إنَّ رسول الله ﷺ وَجَّهَ أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام،

فلما نزل بذي خُشْب قُبِضَ رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رُدْ هؤلاء، توجّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال:

والذي لا إله غيره، لو جرّت الكلابُ بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشاً وجّهه رسولُ الله، ولا حللتُ لواءَ عقده رسولُ الله. فوجّه أسامة، فجعل لا يمرُّ بقبيل يريد الارتداد إلا قالوا: لولا أنْ لهؤلاء قوةٌ ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعُهم حتى يلقُوا الروم، فلقُوا الرومَ فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام).

— ٢ —

وكان في جملة من ارتدَّ من العرب أهل البحرين، فقد مات مَلِكُهم الصالح (المنذر بن ساوى) عَقِبَ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام بقليل، فقام بأمرهم (المنذر بن النعمان بن المنذر) الملقَّب بالغرور، وحرَّضهم على الردة، فارتدوا وقالوا: (لو كان محمدٌ نبياً ما مات). لكنَّ قريةً من قراهم اسمها (جُوائى) بقيت على الإسلام، بفضل الرجل الشريف العاقل (الجارود بن المعلّى) الذي قام في أهل هذه القرية فقال:

(يا معشرَ عبدِ القيس، إِنِّي سائِلُكم عن أمرٍ فأخبروني إن علمتموه، ولا تجيبوني إن لم تعلموه)، فقالوا: سَلْ. قال: (أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمدٍ؟) قالوا: نعم. قال: (تعلمونه أو ترونه؟) قالوا: نعلمه. قال: (فما فعلوا؟) قالوا: ماتوا. قال: (فإنَّ محمداً ﷺ مات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله)، فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وأنت أفضلنا وسيدنا، وثبتوا على الإسلام، وتحملوا الحصار الشديد من المرتدين.

وأمر أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمي بالمسير لقتال المرتدين في البحرين، واستعمله عاملاً عليها، وخرج العلاء من المدينة في ستة عشر ركباً، وجعل يستنفر المسلمين في طريقه، وصحبَه في هذا الوجه أبو هريرة، وقاتل العلاء بمن معه المرتدين في البحرين ونصره الله عليهم نصراً مؤزراً، وعاد الإسلام إليها من جديد.

وقد أبلَى أبو هريرة في هذه الحربِ بلاءً حسناً، ورأى فيها صوراً من التأييدات الغيبية للمسلمين قوتٌ من يقينه، وازداد إعجابه بالعلاء بن الحضرمي، لِمَا رأى فيه من التقوى ولما رأى من استجابة الله دعاءه وتأييده له.

يقول أبو هريرة: (سِرْنَا معه بفلاةٍ من الأرض، وليس معنا

ماء، فشكّونا إليه، فقال: صلّوا ركعتين، ثم دعا، فإذا سحابةٌ مثلُ
التُّرس، ثم أرخت عزالِيَّهَا^(١)، فسَقَيْنَا واستَقَيْنَا. وانتهينا إلى
ساحلِ البحر، فقال: سَمُّوا اللهَ وتقَحَّموا، فسمَّينا وتقَحَّمنا،
فَعَبَرْنَا، فما بلَّ الماءُ أسافلَ أخفافِ إبلنا).

وتحدّث النَّاسُ يومَها عن ذلك الأمر المدهش الذي جرى
للمسلمين، وقَدِمَ على المسلمين راهبٌ من أهل هَجَرَ فأسلم،
فقال له أبو هريرة: ما دعاكَ إلى الإسلام؟ فأجابه: خَشِيتُ أَنْ
يمسَخَنِي الله، لما شاهدت من الآيات.

وعاش أبو هريرة مع العلاء في البحرين مدّة خلافة أبي بكر،
يؤذَنُ للنَّاسِ ويُقَرِّئُهُم القرآنَ وَيُفَقِّهُهُمْ في الدين. وفوجئ
المسلمون بوفاة الصديق ولَمَّا يمضي على خلافته كبيرُ وقت،
ومات رضي الله عنه بعد أن وطَّد دعائم الإسلام من جديد، وحمل
الأمانة من بعده لعمر بن الخطاب، فكان خيرَ خَلَفٍ لخير سَلَفٍ.

وفرَّح أبو هريرة باستخلاف عمر، فقد كان يراه أجدرَ الناسِ
بالخلافة بعد الصديق، وحدّث عنه أهلُ البحرين فقال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: «نِعَمَ الرجلُ أبو بكر، نِعَمَ الرجلُ عمر»،
وسمعتَه يقول: «إِنَّ اللهَ تعالى جعل الحقَّ على لسانِ عُمَرَ وقلْبِهِ».

(١) أي انهمرت السَّماء بالمطر.

وجاء كتاب أمير المؤمنين عمر إلى العلاء بن الحضرمي يأمره
بالتحول إلى البصرة ليلبي عملها، وجاء في هذا الكتاب قول عمر:
(سِرْ إلى عُبَّة بنِ غزوان فقد وَلَّيْتُكَ عمله، واعلم أنك تقدم على
رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من الله الحسنى،
لم أعزِّله إلا يكون عفيفاً صليماً شديداً البأس، ولكني ظننتُ أنك
أغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه، فاعرف له حقَّه، وقد
وَلَّيْتُ قبلك رجلاً فمات قبل أن يصل، فإن يُردَّ الله أن تليَّ وَلَّيْتُ،
وإن يُردَّ الله أن يليَّ عتبة فالخلق والأمر لله رب العالمين).

وخرج العلاء يريد البصرة، وخرج معه صديقُه الأمينُ القديمُ
أبو هريرة ونَفَرٌ من أصحابه، وساروا يريدون البصرة، وبِشَاءِ الله أن
يموت العلاء وهم في الطريق، فدفنوه وحزنوا عليه حزناً شديداً.

يقول أبو هريرة: (كُنَّا على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة،
فمُطِرْنَا، فغَسَّلْنَا، وَحَفَرْنَا له بسيوفنا، ولم نُلْجِدْ له، ودفنناه
وَمَضَيْنَا).

وجاءهم رجل من أهل تلك البلاد بعد أن مضوا قليلاً فقال
لهم: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ تَلْفُظُ الْمَوْتَى، فَلَوْ نَقَلْتُمُوهُ إِلَى مِيلٍ
أَوْ مِيلَيْنِ، إِلَى أَرْضٍ تَقْبَلُ الْمَوْتَى، وَقَالَ قَائِلٌ: مَا جَزَاءُ صَاحِبِنَا
أَنْ نَعْرِضَهُ لِلسَّبَاعِ تَأْكُلُهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى نَبْشِهِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى

مكان دفنه لم يجدوا العلاء فيه، وإذا المكان - مد البصر - نورٌ يتلألاً، فأعادوا التراب، وعلموا أن جَسَدَ صاحبهم قد حفظه الله تعالى بعنايته.

وكَبُرَ على أبي هريرة أن يذهب إلى البصرة وقد مات العلاء؛ فعاد إلى البحرين يؤذُنُ للنَّاسِ، ثم كتب له عمر (أن يؤمَّ النَّاسَ في الصلاة ويقضيَ لهم في خصوماتهم). وجاء أميرٌ جديد للبحرين هو (قُدَّامة بن مظعون) فقَرَّبَ إليه أبا هريرة، وجَعَلَ يستشيرُهُ في أموره، لِمَا كان يتمتَّعُ به من علمٍ وفقهِ وتقوى.

واشتاق أبو هريرة إلى مدينة رسول الله ﷺ، فقد طالت غَيْبَتُهُ عنها هذه المرَّة، اشتاق للوقوف أمام الحجرة الشريفة والتسليم على رسول الله ﷺ، واشتاق إلى أمِّه التي تركها هناك في المدينة، فاستأذن أميرَ البحرين بالشخص (١) إلى المدينة، فأذن له، فعاد إليها سريعاً يريد أن يقضيَ منها لُبَّانته (٢). وقَدِمَ على أمير المؤمنين فَسَلَّمَ عليه وأطلعه على أحوال البحرين، وذكر له سببَ مجيئه، ثم رجاه أن يُعْفِيَهُ من عمله في البحرين، وأن يعيشَ إلى جواره في المدينة، فأجابه عمر إلى ذلك.

(١) أي بالعودة والرجوع إليها.

(٢) أي حاجته ونَهْمَتِهِ.

سَعَدَ أبو هريرة من جديد بالعيش في مدينة النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان هَاجَرَ من بلاد اليمن ليعيش في هذه المدينة الطيبة، وإنه ليجد بعد هجرته إليها وحشةً كلما ابتعد عنها، وإنه ليجد الأنسَ والسُرور فيها.

وَاتَّخَذَ أبو هريرة لنفسه بيتاً غيرَ بيته القديم، فلم تَبَقْ هناك صُفَّةٌ، فقد تفرَّق أهلها بعد موتٍ من اجتمعت قلوبهم عليه، تفرَّقوا في البلاد يجاهدون في سبيل الله وينشرون الإسلام، ولم تَبَقْ عند أبي هريرة إلا الذكريات الجميلة الأليمة لأيام الصُفَّة ولحياته فيها، أما رسول الله ﷺ فقد كان يقضي حَقَّهُ منه بالوقوف كلَّ يوم أمام قبره الشريف والسلام عليه.

وكانت لا تفوت أبا هريرة صلاةَ خلف أمير المؤمنين عمر، فقد كان يحبه، وكان كثيراً ما يُرَى في مجالسه يستمع ويشير، وكان عمر يَعْرِفُ له حَقَّهُ ويرى أنه قد أُوتِيَ علماً غزيراً.

وَفُتِحَت البلادُ الكثيرة في عهدِ عمر، وتوسَّعت رقعة العالم الإسلامي، وَكَثُرَ عَدَدُ مَنْ اعتنقَ الإسلامَ؛ فاحتاج عمر إلى العمال الأمناء الفقهاء ليديروا له شؤونَ الأمصار. ودعا إليه نفرًا من أولئك الذين يثق بهم، وقال لهم:

(إذا لم تُعينوني، فمن يعينني؟!) فقالوا: نحن نعينك.

وتوجّه عمر - أوّل ما توجه - إلى أبي هريرة، وقال له: (يا أبا هريرة ائت البحرين وهجر أنت العام). ثم أمر عدداً آخر منهم على الأمصار الأخرى، وزوّدَهم بنصائحه وأوامره، واستحثّهم على الإسراع بالخروج لأعمالهم.

وأزعجَ هذا التكليف أبا هريرة، فهو يريد أن يعيش في المدينة، وأن يحصل بقيّة العلم النبويّ الذي عند كبار الصحابة، ثم يتفرّغ لتعليم الناس، وفكّر في أن يطلب من عمر أن يعفيه من هذا الأمر، ولكنه خشيّه، ووجد أنه لا بد من طاعته ولو أنه كره هذا العمل الذي أمره به، فهو قد بايع النبيّ عليه الصلاة والسلام على السمع والطاعة في المنشط والمكروه.

وتوجّه أبو هريرة من جديد إلى البحرين، واستقبله أهلها أحسن استقبال، فقد كانوا عرفوه من قبل وأحبّوه لحسن خلقه وعظيم علمه وتقواه. وعاش أبو هريرة في تلك البلاد أميراً لها، يحفظ ثغورها، ويصلي بأهلها، ويقضي بينهم، ويعلمهم الإسلام، ويرسم لهم بسلوكه منهجاً يأتسون به.

وكان دائم الاتصال بالخليفة في المدينة، فكان يسأله عن الأمور التي يُفتي فيها، ليرى رأيه في ذلك، وكان رأي عمر يوافق دائماً رأيه، وكان موفقاً في أجوبته مصيباً في أحكامه، مسدداً في كلامه وأفعاله.

وكان همُّ أبي هريرة في عمله في البحرين أن يرعى الأمانة التي وُكِّلَتْ إليه، فقام بها حقَّ القيام، وكان من خيرة عمَّال عمر استقامةً وعدلاً.

بيدَّ أنَّ عمر رضي الله عنه كان شديدَ المراقبة لعمَّاله، يبتُّ العيونَ في الأمصار تأتيه بالأخبار عن عمَّاله وسيرتهم في رَعِيَّتِهِمْ، كان لا يرضى لهم أن يزيغوا عن الحقِّ قيدَ شعرة، ويريدهم أن يكونوا دائمي اليقظة والسَّهر على راحة الناس، يصرفون كلَّ وقتهم لخدمة النَّاس، ولا يصرفهم صارفٌ عن عملهم من كسبٍ أو تجارة، وكان يُغضبه أن يعملَ العامل في التجارة والكسب، ويتخوَّفُ على عمَّاله أن يكون الناس راعوهم في تجارتهم ومكاسبهم لأجلِ الإمارة، فكان يأخذ منهم أرباحهم ويضعها في بيت المال لتبرأ ذممهم، ثم يعطيهم بعد ذلك من بيت المال، بحسب ما يرى من استحقاقهم، فيكون جِلاً لهم بلا شبهة.

وجاءه خبرٌ أنَّ أبا هريرة قد كُثِرَ ماله، فأرسلَ إليه أن اقدمْ عليَّ، فقدمَ على عمرَ من البحرين، و(أتاه بأربعمائة ألف، فقال له: أظلمتَ أحداً؟ قال: لا. أخذتَ شيئاً بغيرِ حقِّه؟ قال: لا. فما جئتَ به لنفسِكَ؟ قال: عشرين ألفاً. من أين أصبَّتها؟ قال: كنت أتجرُّ. فقال عمر: انظر رأسَ مالك ورزقك، فخذْه واجعل الآخر في بيت المال).

وأحزنَ أبا هريرة ما أمره به أمير المؤمنين، فالمال ماله، ولم يكسبه إلا من طريقٍ مشروع، فجعل يجادل عمر في ذلك، فغضبَ عمر وقال له: (يا عدوَّ الله وعدوَّ كتابه، أسرقتَ مالَ الله؟ وأجابه أبو هريرة بهدوءٍ ورَويَّةٍ: لستُ بعدوَّ الله ولا عدوَّ كتابه، ولكنني عدوٌّ من عاداهما، ولم أسرق مالَ الله).

وسأله عمر ثانيةً: من أين اجتمع لك المال؟

فقال أبو هريرة: خيلي تناسلت، وعطائي تلاحق، وسهامي تلاحقت.

ولم يرضَ عمر بهذا الجواب^(١)، فقبضها من أبي هريرة، وترك له رأسَ ماله ورزقه. وانصرف أبو هريرة حزيناً إلى أمه، فحكى لها ما جرى له مع عمر، فما زادت على أن قالت: عَفَرَ اللَّهُ لعمر. وأعجبت هذه الكلمةُ أبا هريرة، وقام من غدٍ يقول بعد صلاة الفجر: اللهم اغفرْ لأمير المؤمنين. وعزَّى نفسه بما كان يفعله عمر مع سائرِ العَمَّال الذين كان يرى كثرةَ أموالهم، فهو لم يفعل هذا معه وحده، بل كان هذا الفعل سياسةً لهذا الخليفة، كانت سياسةً قائمةً على الاحتياط، فكان يقاسم عُمَّاله أموالهم خوفاً أن يدخلَ

(١) تقول رواية ساقها الحافظ ابن حجر في الإصابة عن عبد الرزاق الصنعاني المحدث الكبير صاحب المصنّف: إن عمر نظر - فيما بعد - في كلام أبي هريرة، وأجرى تحقيقاً، فوجد الأمر كما قال أبو هريرة.

عليهم مالٌ فيه شبهة، لكنه رضي الله عنه كان يَجْبُرُ خَاطِرَهُمْ، فكان يأخذُ منهم ثم يعطيهم أفضلَ منه .

وفرَّح أبو هريرة بعودته إلى المدينة من جديد، وعزم على أن يستقرَّ بها، وأن ينصرف انصرافاً تاماً إلى العلم، ولكنه - وبعد وقت قصير - فُوجِيَءَ بأمير المؤمنين عمر يدعوه للعمل ثانية، يَدَّ أنه اعتذر هذه المرة اعتذاراً قَبْلَهُ منه أمير المؤمنين .

يقول أبو هريرة: (. . . ثم قال لي عمر بعد ذلك :
ألا تعمل؟ قلت : لا .

قال : قد عَمِلَ مَنْ هو خَيْرٌ منك : يوسف .

فقلت : إنَّ يوسُفَ نبيُّ ابنِ نبيٍّ، وأنا ابنُ أُمَيِّمة . وأخشى ثلاثاً
واثنتين .

قال : فهلاً قلت خمساً؟

قلت : أخشى أن أقول بغير علم، وأحكم بغير حِلْم، وأخشى أن يُضرب ظهري، ويُسْتَمَّ عرضي، ويُتَزَعَ مالي .

وهكذا تخلَّص أبو هريرة بهذا الاعتذار اللبق من العمل في الأمصار، وفرَّغ نفسه ليكون معلماً للمسلمين .

الصَّحَابِيُّ الْمَعْلَم

- ١ -

عاش أبو هريرة بعدَ رسولِ الله ﷺ قريباً من خمسين سنة، كان شغله الشاغل فيها تعليمَ الناس، وتفقيهِهم في دينهم، وتحديثهم بما حفظه عن رسولِ الله ﷺ خلالِ سِنِي الصُّحبة، وبما حفظه عن باقي الأصحاب في حياة النبي وبعد وفاته. لم يكن يُؤثر على هذا العمل عملاً آخر، فكان بحق (الصحابي المعلم). ولقد علّم جيلاً عظيماً من الناس، فكان من تلاميذه أعلام التابعين وأئمة الإسلام في النصف الثاني من القرن الأول؛ بالإضافة إلى من استمع منه من عامة الناس وهم يُعدُّون بالألوف.

ولقد عاصرَ أبو هريرة فترةَ الخلافة الراشدة كلّها ومعظمَ خلافة معاوية، وطوّف في بلادِ إسلامية عديدة، وزار كبرى المدن الإسلامية في زمانه، لكن مركز إقامته الأساسي كان مدينة رسول الله ﷺ، فهي المكان الذي أحبه وعاش فيه معظمُ عُمره منذ

أن هاجر وإلى أن لقي وَجْهَ رَبِّهِ، هناك كان مغداه ورواحه رضي الله عنه .

وفي عهد عمر - وبعد استقراره بالمدينة - بدأ يحدث الناس بحديث رسول الله ﷺ، وأخذ يقول للناس: سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، وحديثي رسول الله ﷺ بكذا وكذا، وقال رسول الله كذا وكذا.

ورأى عمرُ أبا هريرة يحدثُ النَّاسَ وشعرَ أنه دأب على هذا الأمر، فقال له: يا أبا هريرة أقلِّ الحديث عن رسول الله (١).

بيد أن أبا هريرة ما كان يملك السكوت، فهو يرى أن هذا العلم الذي يحمله أمانةٌ يجب تبليغها، وكان يرى أن فرضاً على من يعلم من أمور الدين شيئاً أن يعلمه لغيره، فدأب على تحديثه ولم ينزجر. وتكرَّرَ نهْيُ عمرَ له، لكنه لم ينته، مما اضطرَّ عمرُ لأن

(١) كان عمر رضي الله عنه قد أمر عدداً من الصحابة بهذا الأمر، فقال لهم: (أقلُّوا الحديث عن رسول الله ﷺ). وزَجَرَ غيرَ واحدٍ من الصحابة عن بثِّ الحديث، وكان هذا مذهباً له، فهو لا يحبُّ أن يُشغَلَ النَّاسُ عن القرآن الكريم، ويخشى أن تَضَعِ النَّاسُ أحاديثَ رسول الله على غير مواضعها. وبالنسبة لأبي هريرة فقد خشي أن يقع في أحاديثه بعضُ الغلط بسبب إكثاره منه.

يزجره زجرةً قويّةً، فقد قال له يوماً: (لَتَتْرُكَنَّ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، أو لألْحِقَنَّكَ بأرضِ دَوْسٍ).

وأقلُّ أبو هريرة الحديثَ عن رسول الله ﷺ خشيةً من عمر، لكنه ما انقطع عنه، ومضى على ذلك زمن، وأحبَّ عمر أن يحذّر أبا هريرة من عاقبة ما قد يقع فيه المحدث من خطأ أو كذب غير مقصود على رسول الله في الآخرة، وأحبَّ أن يشعره بأنه إنما زجره لأمرٍ منها هذا الأمر، فهو يشفق عليه أن يَأْثَمَ ويعاقبَ في الآخرة، فأرسل إليه وقال له: (يا أبا هريرة، كنتَ معنا يوم كُنّا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان)؟.

وأجابه أبو هريرة على الفور: نعم، وأنا أعلم لِمَ تسألني عن ذلك.

وقال عمر: وَلِمَ سألتك؟.

فقال أبو هريرة: إِنَّ رسول الله ﷺ قال يومئذ: «من كَذَبَ عَلَيَّ متعمداً، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار».

وأدهشَ عمرَ جوابُ أبي هريرة، وتأكد له حفظُه وصيانتُه لدينه، وقال له يومها:
(أُمّا إذا فاذْهَبْ فحدِّث).

وزاد من ثقة عمر بأبي هريرة ما لَمَسَهُ من حفظه دون غيره في مناسبات عديدة :

● فقد مرَّ عمرُ يوماً (بحسَّان وهو ينشدُ الشعر في المسجد فلحظ عليه، فقال: قد كنت أنشد وفيه خيرٌ منك، ثم التفت حَسَّان إلى أبي هريرة فقال: أنشدك بالله، أسمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: أَجِبْ عَنِّي، اللهم أَيِّده بروح القدس؟.

وأدلى أبو هريرة بشهادته فقال: اللهم نعم. وما وسع عمر إلا قبولها).

● وأُتِيَ عمرُ بامرأةٍ تَشُمُّ، فقام فقال: أنشدكم بالله، من سمع من النبي ﷺ في الوشم^(١)؟.

ولم يجبه أحدٌ غيرَ أبي هريرة، فقام فقال: يا أميرَ المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت؟ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لَا تَشِمَنَّ وَلَا تَسْتَوْشِمَنَّ».

● ومرة ثالثة: (أخذت الناس ريحُ بطريق مكة، وعمر بن الخطاب حَاجٌّ، فاشتدَّت عليهم، فقال عمر لمن حوله: من يحدثنا

(١) الوشم: أن يُغرز الجلد بإبرة، ثم يُحشى بكحل أو زيل، فيزرق أثره أو يخضر.

عن الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً. فبلغ أبا هريرة الذي سأل عنه عمرٌ من ذلك، فاستحث راحلته حتى أدركه فقال: يا أمير المؤمنين، أُخبرتُ أنك سألتَ عن الريح، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الريح من روح الله، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها، واستعيذوا من شرها»).

ولم يكن حرصُ أبي هريرة على التعلم بأقلَّ من حرصه على التعليم، فقد لزمَ أمير المؤمنين عمرَ وغيره من كبار الصحابة، وأخذ ما عندهم من الأحاديث ممَّا ليس عنده، وأخذ عنهم فقههم، بل أخذ عن صغار الصحابة كأسامة بن زيد وعائشة، واتَّجه إلى الصحابيِّ الإمام الجليل: أبي بن كعب، فأخذ عنه بقية القرآن ممَّا لم يحفظه في زمن النبي ﷺ، ثم عرَضَ على أبي سائر القرآن، وأخذ عنه قراءته، ونَشَرها فيما بعد في تلاميذه.

— ٢ —

وتوفي عمر رضي الله عنه، وحزن أبو هريرة عليه حزناً شديداً، لما كان يرى فيه من مناصحة الإسلام والمسلمين، ومن الدَّأب على إعزاز الدين وخدمة الرعيَّة، واختار المسلمون عثمان بن عفان، وفرحوا بخليفتهم الجديد، وامتدَّ انتشار الإسلام

في زمانه وعاش النَّاسُ زماناً من خلافته في بُحْبُوحَةِ عَيْشٍ، وفي
أَمْنٍ واطْمَئْنَانٍ في ظِلِّ خَلِيفَةٍ رَحِيمٍ كَرِيمٍ.

ولم يجد أبو هريرة من الخليفة الجديد ما وَجَدَهُ من عمر من
تضييق عليه في التحديث، فقد رأى عثمان أن جَيْلاً جديداً قد نشأ
في المسلمين، وأنَّ أَمَمًا قد أسلمت، وهؤلاء وأولئك يحتاجون
إلى من يَعْلَمُهُمْ دِينَهُمْ، وَيَبْلُغُهُمْ حَدِيثَ رَسُولِهِمْ، وكان يعلم مدى
تَمَكُّنِ أَبِي هُرَيْرَةَ من الحفظ، لذا فَسَّحَ أَمَامَهُ الْمَجَالَ لِيَحْدُثَ
النَّاسَ كما يحلوه.

وكان أبو هريرة ينتظر هذه الفرصة، فقام في المسلمين
يحدثهم كثيراً، ويروي لهم سننَ رسول الله ﷺ التي سمعها والتي
رآها، ويحكي لهم أموراً كثيرة جَرَتْ على عهدِ النَّبِيِّ ﷺ؛ يرويها
وكأنه يشاهدها بأمِّ عَيْنِهِ ساعةَ تحديثه. وقام يُقْرِئُهُم الْقُرْآنَ
الكَرِيمَ، ويروي لهم الروايات في تفسيره، بل جعل النَّاسَ
يَسْتَفْتُونَهُ فيفتيهم، وتُرفَعُ فتاواه للخليفة فيُقرُّه عليها، وشارَكَه في
هذا عددٌ قليل من الصُّحَابَةِ، لكنَّ نشاطهم لم يكن كنشاطه. وبقي
رحمه الله تعالى يسلك هذا الطريق، ويعمل في هذا المجال،
ويكثر الجلوس في المسجد لهذا الأمر إلى أن لَقِيَ وَجْهَ رَبِّهِ
عَزَّ وَجَلَّ.

كان يحدث سائر الناس: مَنْ عَرَفَ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ، الكبار والصغار، كان يحدث في المسجد، والسوق، والبساتين، والسفر، والحضر، وكان يرغب الناس ترغيباً لطيفاً في طلب العلم، ويغريهم بذلك بأساليب جميلة.

ذكروا أنه (مرّ بسوق المدينة، فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسّم وأنتم هاهنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟! قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة، أتينا المسجد فدخلنا، فلم نر فيه شيئاً يُقسّم! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى. رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذلك ميراث محمد ﷺ).

وكان يجد في التحديث مجالاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحدث ليأمر وينهى. ذكروا أنه (مرّ عليه رجل من بني عامر، فقيل: هذا من أكثر الناس مالاً، فدعاه أبو هريرة، فسأله عن ذلك، فقال: نعم، لي مائة حمراء، ولي مائة أدماء، ولي كذا وكذا من الغنم. فقال أبو هريرة: إياك وأخفاف الإبل، إياك

وأظلاف الغنم، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون له إبل لا يؤدي حقَّها في نجدتها ورسلِها^(١)، عُسرِها ويُسرِها؛ إلا برزَ له بقاعٌ قرقر، فجاءته كأعدِّ ما تكون، وأسرُّه وأسمِنه، فتطَّؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها، كلما جاءت عليه أُخراها أُعيدت أولاها، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين الناس، فيرى سبيلَه. وما من عبدٍ يكون له بقرٌ لا يؤدي حقَّها في نجدتها ورسلِها، عُسرِها ويُسرِها؛ إلا برزَ له بقاعٌ قرقر، كأعدِّ ما تكون وأسرُّه وأسمِنه وأعظمه، فتطَّؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها، كلما جازت عليه أولاها أُعيدت عليه أُخراها، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضيَ اللهُ بينَ الناس، فيرى سبيلَه».

وقال له أحدُ الحضور: وما حقُّ الإبل يا أبا هريرة؟ فقال: يعطي الكريمة، ويمنح الغزيرة، ويفقر الظهر، ويطرق الفحل، ويسقي اللبن.

وأقبل الناس على أبي هريرة، وكثُرَ طُلابه، وانصرف إليه التابعون ممَّن لم يَرَوْا رسولَ الله ﷺ، وتعزَّوا عن رؤيته بسماعهم كلامه، يرويه هذا التلميذُ الذكيُّ النبيلُ، والمعلِّمُ الألمعيُّ الدؤوب.

(١) أي شدتها ورخائها.

عَرَفَ الخليفةُ الثالثُ لأبي هريرةَ حقَّه، وسرَّه هذا الأمرُ الذي اضطلع به، فأكرمه وأجزَلَ له العطاء، وتغيَّرت الحال بأبي هريرة، فقد انتقل من فقر مُدَقِّع^(١) وجوع مُجْهِدٍ إلى يَسَارٍ وشَبَعٍ. ثم لقد أنعم الله عليه بنعمةٍ أخرى، هي نعمة الزواج، ولقد كانت زوجته هي تلك المرأة المازنية الشريفة: بُسْرَة بنتُ غزوان، التي عمل أجيراً لها في فترةٍ من العهد النبوي. أجل لقد أصبحت ابنة غزوان زوجةً لأبي هريرة، فَسَعِدَ بها، واطمأنَّ قلبه، وحصَّنَ نفسه.

وانصرف أبو هريرة يؤدِّي حقَّ الشكر لله تعالى على ما أنعم عليه وبدَّل من حالته؛ واجتهدَ في أداء حقِّ الشكر: عبادةً وذكرًا وحمداً وتحديثاً بنعمة الله تعالى.

دخل عليه يوماً تلميذٌ من أبرز تلاميذه هو محمد بن سيرين، فَجَلَسَ عنده، وبينما هما يتحدَّثان، إذا بأبي هريرة يُخْرِجُ من جَيْبِهِ خرقةَ كَتَّانٍ وتمخَّط بها، ثم يقول متعجباً من صنيعه:

بَخٍ بَخٍ!! أبو هريرة يتمخَّط في الكَتَّان!

فقال: والله — يا ابن سيرين — لقد رأيتني أُصرِّع بين منبر

(١) أي شديد مُدِلٍّ.

رسول الله ﷺ وحجرة عائشة، فيقال: مجنون، وما بي إلا الجوع. ثم يشير إلى ثوب ممشّق كان يلبّسه ويقول: ألا تنظر يا ابن سيرين إلى ما ألّبس!! ثم يُكثر الحمد لله تعالى.

وهكذا عاش أبو هريرة في زمن الخليفة الراشد عثمان في أمن وطمأنينة، وفي يُسرٍ وهناءةٍ، وانصرف بكلّيته إلى تعليم الناس، رائده في ذلك قوله المشهورة: (باب من العلم نتعلّمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً، وباب من العلم نعلّمه - عمِلنا به أو لم نعمل به - أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً)؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء طالب العلم الموت وهو على هذه الحال مات وهو شهيد».

بيد أن الأمور - وأحسرتها - لم تبق كما كان يشتهي أبو هريرة وسائر المسلمين، فقد جدّت في المجتمع الإسلامي أحداثٌ خطيرة، ولقد فُتح باب الفتنة الذي كان مُغلّقاً، ونشط أعداء الإسلام في إيقاد نار الفتنة، وتولّى كبر هذا الأمر يهوديٌّ زعم الإسلام هو (عبد الله بن سبأ).

فلقد استطاع هذا العدو الماكر أن يجمع الرّعاع من الأمصار ويرسلهم إلى المدينة المنورة، وهناك حاصروا الخليفة الصّالح، وأرادوه على خلع نفسه، فأبى عليهم، فشددوا عليه الحصار،

فقوي رفضه لمطلبهم، وأذهلت الأحداث أهل المدينة، وفزعت طائفةً لدينهم ولخليفتهم، وجاء رجالٌ إلى عثمان ينصرونه على أعدائه وكان في مقدمتهم: أبو هريرة وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسن والحسين ابنا علي، وآخرون.

وأقبل أبو هريرة، والناس مُحْجَمُونَ عن الدار إلا أولئك العصابة، فدسّروا - دفعوا وتقدّموا - فاستقتلوا، فقام معهم، وقال: أنا أسوتكم. وقال: هذا يومُ طابَ الضُّرْبُ، ونادى: يا قوم، مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار؟! .

ودخل أبو هريرة الدار، فاستأذن عثمانَ في الكلام، فأذنَ له، فقام فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فِتْنَةً واختلافاً»، فقال له قائل من الناس: فَمَنْ لنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالأمين وأصحابه»، وهو يشير إلى عثمان بذلك، ثم تقدّم إلى عثمان رضي الله عنه، فقال له: اليوم طابَ الضُّرْبُ معك. قتلوا رجلاً منا.

وَرَفَضَ عثمان رضي الله عنه ذلك وقال له: أُعْزِمُ عليك لَتَخْرُجَنَّ. عزمتُ عليك يا أبا هريرة إلا رَمَيْتَ بسيفك، فإنما ترادُ نفسي، وسأقي المؤمنينَ اليومَ بنفسِي. أيسُرُك أن تقتلَ الناسَ جميعاً وإياي؟! فقال أبو هريرة: لا. فقال عثمان: فإنك والله إن قتلتَ رجلاً واحداً، فكأنما قُتلَ الناسَ جميعاً.

ولبث أبو هريرة متقلداً سيفه حتى نهاه عثمان، فرجع ولم يقاتل، ثم كانت الفجيعة الكبرى، فافتحمت الأوغاد دار الخليفة، وقتلوه رضي الله عنه. وفجع المسلمون بعثمان وفجع به أبو هريرة، وبكاه طويلاً، وظل يبكيه كلما ذكر ما صنع الناس به، حتى يسمعه السامع يقول: (هاه، هاه) يتحجب.

واختار المسلمون علي بن أبي طالب خليفة لهم وبايعوه، وبايعه أبو هريرة، وانصرف هذا الخليفة الجليل ليرأب الصدع، ولكن الفتنة كانت كبيرة، وكانت عمياء، فشغلت المسلمين في سائر أمصارهم، وقسمتهم على أنفسهم، واقتتلوا وسالت الدماء، وكانت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين.

أما أبو هريرة، فقد لزم بيته ولم يحضر تلك الأحداث ولا شارك فيها، ورأى ببصيرته النافذة أن الاعتزال أولى. وكفه عن ذلك الحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يستشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعد به». وكان هذا الحديث دستوره في الفتنة، ففضل القعود، وأوى إلى بيته ولزم مدينة رسول الله ﷺ، وشاركه في ذلك عدد من كبار الصحابة من أمثال: سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وعمران بن حصين، وأبي بكر الثقي.

وَأَتَتْ الْفِتْنَةُ عَلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ الرَّابِعِ - عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -
فَمَاتَ شَهِيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ تَنَازَلَ ابْنُهُ الْحَسَنُ لِمَعَاوِيَةَ
عَنِ الْخِلَافَةِ، وَالتَّأَمَّ شَمْلُ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى
مَعَاوِيَةَ، وَكَانَ عَامٌ أَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ عَامَ الْجَمَاعَةِ - كَمَا سَمَّاهُ
الْمُسْلِمُونَ - . وَسَلِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنَ الْوُلُوجِ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ الْكُبْرَى،
وَعَادَ لِذَائِبِهِ السَّابِقِ، يَنْشُرُ الْعِلْمَ وَالْحَدِيثَ وَالْفَقْهَ فِي مَدِينَةِ
الرَّسُولِ ﷺ .

— ٤ —

كَانَ نَجْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَتَأَلَّقُ فِي الْمُسْلِمِينَ كُلَّمَا تَقَدَّمَ بِهِ السَّنَّ،
وَكَانَ عِلْمُهُ يَنْتَشِرُ فِي أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ طُلَّابُهُ يَكْثُرُ عَدْدُهُمْ
وَيَزْدَادُونَ يَوْماً عَنْ يَوْمٍ، وَرَأَى هُوَ أَنَّ فِي الْإِكْثَارِ مِنَ الْحَدِيثِ
وَحَلَقَاتِ الْعِلْمِ مَا يَشْغُلُ النَّاسَ عَمَّا جَرَى لَهُمْ، لَذَا ضَاعَفَ
مِنْ نَشَاطِهِ، وَكَثَرَ تَحْدِيثُهُ، وَصَارَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ
فِيحَدِّثُ حَدِيثاً عَاماً، فَيَقْبِضُ عَلَى رُمَائَتِي الْمَنْبَرِ وَهُوَ قَائِمٌ وَيَقُولُ:
حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ، الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، فَلَا يَزَالُ يَحَدِّثُ حَتَّى
يَخْرُجَ خَطِيبَ الْجُمُعَةِ، فَيَجْلِسُ .

وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَصَارَ يَقُومُ كُلِّ أُسْبُوعٍ فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ فَيَحَدِّثُ النَّاسَ، وَكَانُوا يَسْتَمْعُونَ مِنْهُ كُلَّ مَرَّةٍ أَحَادِيثَ

جديدة، وكانوا يُدهشون لحفظه ومرونة لسانه، حتى لكأنه يقرأ من كتابٍ أمامه، وَبَرَزَ في الناس كأولِ حافظٍ في الصحابة رضي الله عنهم، وتهاَمَسَ الناسُ فيما بينهم:

من أين لأبي هريرة هذه الأحاديث الكثيرة وهو لم يَصْحَبِ النبيَّ إلا أربعَ سنوات؟! إِنَّ الذين صحبوه سنين طويلة لم يَرَوْا عنه هذه المرويات الكثيرة!!.

وَفِطَنَ أبو هريرة لهذه الهَمَّسات، فَجَعَلَ يقول في ابتداء حديثه: قال رسول الله الصَّادِقُ المصدوق، أبو القاسم ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، ثم يقول: حَدَّثَنَا رسول الله ﷺ كذا وكذا، وَيَسْرُدُ الأحاديث.

وَشَهِدَ لأبي هريرة عددٌ من الصحابة أنه لازم النبيَّ طويلاً وأنه سمع ما لم يسمعوا... وشَهِدَ له الإمام الجليل، جامع القرآن زيد بن ثابت بأنَّ النبيَّ دَعَا له بشييت الحفظ، فقال لرجلٍ جاءه يسأله عن مسألة: (عَلَيْكَ بأبي هريرة، فَإِنِّي بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعوا الله ونذكره، إِذْ خَرَجَ علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، فقال: «عودوا لِلَّذِي كنتم فيه». فدعوتُ أنا وصاحبي فجعل رسولُ الله ﷺ يؤمِّنُ على دعائنا. ودَعَا أبو هريرة، فقال: إِنِّي أسألك ما سأل صاحبي وأسألك علماً

لا يُنسى ، فقال رسول الله ﷺ : « آمين » فقلنا : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علماً لا يُنسى ، فقال : سَبَقَكُمْ بها الغلامُ الدُّوسي .

ومع ذلك لم ينقطع كلامُ الناس فيه ، وتحوَّل الهمسُ إلى كلامٍ صريح ، فاضطر أبو هريرة للدفاع عن نفسه بجرأة وقوة ، وكشَفَ للناس عن سَبَبِ حفظه كشفاً واضحاً صريحاً ، وجعل يقول لهم :

(إِنَّ الناس يقولون : إِنَّ أبا هريرة يُكثِرُ الحديثَ ، واللهُ الموعِد . ويقولون : ما لِلْمُهَاجِرِينَ والأنصار لا يحدثون مثلَ حديثه ؟ وَإِنَّ إِيحوتي مِنَ المهاجرين كان يَشْغَلُهُم الصَّفْقُ بالأسواق ، وَإِنَّ إِيخواني مِنَ الأنصار كان يَشْغَلُهُم العمل في أموالهم ، وكنت امرءاً مسكيناً ، ألزَمُ رسولَ الله ﷺ على ملءِ بطني ، فأحْضُر حين يغيبون ، وأعي حين ينسَوْنَ) . . . إني كنتُ امرءاً معتكِفاً ، وكنتُ أكثرَ مجالسةِ رسولِ الله ﷺ ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظُ إذا نُسوا) .

(إنه لم يكن يَشْغَلُنِي عن رسولِ الله ﷺ غَرَسٌ ولا صَفْقٌ بالأسواق ، إِنَّمَا كنتُ أَطْلُبُ من رسولِ الله ﷺ كلمةً يَعْلَمُنيها أو أَكَلَة يُطْعِمُنيها) .

(كنتُ ألزَمُ النبي ﷺ لِشَبَعِ بطني ، حين لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلانٌ ولا فلانة ، وألصق بطني

بالْحَصْبَاءِ، وَأَسْتَقْرَى الرَّجُلَ الْآيَةَ وَهِيَ مَعِيَ؛ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي).

ثم أخذ يذكر الناس بأن رسول الله ﷺ قد دعا له بأن يهبه الله علماً لا يُنسى، ويقول لهم: ما بي من الحفظ هو دعوة رسول الله لي.

وسكت معظم من كان يتكلم في أبي هريرة، وقل الكلام في شأنه، وأدعن له الناس، وظل شأنه يرتفع، وعلمه يتشهر، وفضله يشيع.

— ٥ —

قام أبو هريرة في يوم الجمعة، وأخذ برُمَانَتِي المنبر، وأمامه الناس قد ملأوا المسجد حتى ضاق بهم، ثم قال: أيها الناس، قال رسول الله الصادق المصدق أبو القاسم ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ».

حدَّثنا رسول الله ﷺ فقال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ؛ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا،

ولو يعلمون ما في التهجير^(١) لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصُّبح لأتوهما ولو حَبوًّا.

وقال لنا رسول الله ﷺ: «إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ. فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ، فَلْيَصِلْ كَيْفَ شَاءَ».

وقال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدَّعَاءَ».

وقال لنا رسول الله ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ إِدْجَالٍ».

وحدثنا رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ فِي تَمَامِ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وحدثنا رسول الله ﷺ فقال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ

(١) التبكير إلى المسجد والمبادرة إليه.

وملائكةً بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر. ويعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - : كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وبين عَبْدِي نصفَيْن، ولعبدِي ما سَأَلَ، فإذا قال العَبْدُ: الحمدُ لله ربَّ العالمين، قالَ اللهُ تعالى: حَمَدَنِي عَبْدِي. وإذا قال: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قالَ اللهُ تعالى: أَثْنَيْتُ عَلَيَّ عَبْدِي. وإذا قال: مالِكُ يومِ الدِّينِ، قال: مَجَّدَنِي عَبْدِي. فإذا قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قال: هذا بَيْنِي وبين عَبْدِي ولعبدِي ما سَأَلَ، فإذا قال: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قال: هذا لعبدِي ولعبدِي ما سَأَلَ».

واستمرَّ أبو هريرة يروي للناس أحاديثَ عن رسولِ الله ﷺ في موضوع الصلاة، حتى إذا أَحَسَّ أن وقتَ الأذان للصلاة قد حان، خَتَمَ كلامَه فقال:

أيُّها الناس: وقال رسول الله ﷺ: «الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة، فقلنا: لِمَنْ؟ قال: لله، ولكتابِهِ، ولأئِمَّةِ المسلمين وعامَّتِهِمْ».

ثم جلس بين الناس .

وبعد صلاة الجمعة سَعَى سَاعٍ إِلَى حَجْرَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ،
فَسَلَّمَ وَقَالَ : يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا حَدَّثَ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ
النَّاسُ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، فَقَالَ لَهَا : أَكَلُّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ !
ثُمَّ تَعَجَّبَ الرَّجُلُ مِنْ كَثْرَةِ تَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَتَعَجَّبَتْ هِيَ أَيْضًا ،
وَقَالَتْ : لِأَكَلَمَنْ أَبَا هُرَيْرَةَ فِي ذَلِكَ .

وَأَرْسَلَتْ وَرَاءَهُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَتْ لَهُ : (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا هَذِهِ
الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنَا أَنَّكَ تَحَدِّثُ بِهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ هَلْ سَمِعْتَ
إِلَّا مَا سَمِعْنَا ، وَهَلْ رَأَيْتَ إِلَّا مَا رَأَيْنَا ؟ !) .

وَأَدْرَكَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ كَلَامَ عَائِشَةَ هُوَ انْعِكَاسُ لَأَقْوَالِ النَّاسِ
فِيهِ ، وَانْبَرَى يَجِيبُهَا وَهُوَ ثَابِتُ الْجَأْشِ قَوِيُّ النَّبَرَةِ ، وَذَكَرَهَا بِكَثْرَةِ
مِلَازِمَتِهِ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ يَشْغَلُهُ عَنْهُ
شَيْءٌ . وَقَالَ لَهَا فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ : (يَا أُمُّاهُ ، إِنَّهُ كَانَ يَشْغَلُكَ عَنِ
رَسُولِ اللَّهِ الْمَرْأَةِ وَالْمُكْحَلَةِ وَالتَّصْنُوعِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَإِنِّي وَاللَّهِ
مَا كَانَ يَشْغَلُنِي عَنْهُ شَيْءٌ) .

وَتَحَارَّ السَّيِّدَةُ فِيمَا تَجِيبُ بِهِ أَبَا هُرَيْرَةَ ، فَتَسَكَّتْ ، وَيَنْصَرِفُ
أَبُو هُرَيْرَةَ .

أَمَّا أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَقَدْ مَضَى فِي تَحْدِيثِهِ ، وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى

مَتَقَدِّدًا، وَلَا يَزْعِجُهُ لَائِمٌ. وَصَارَ يَأْتِي أحياناً إِلَى جَانِبِ حَجْرَةِ
السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ فَيَجْلِسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فَيُحَدِّثُهُمْ وَيَقُولُ:
اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحَجْرَةِ. وَتَجْلِسُ رَبَّةُ الْحَجْرَةِ فِي حَجْرَتِهَا تَسْتَمِعُ
كَمَا يَسْتَمِعُ النَّاسُ، وَلَا تَزِيدُ عَلَى الْإِسْتِمَاعِ، فَقَدْ كَانَتْ عَاهَدَتْ
نَفْسَهَا أَلَّا تَقُولَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ شَيْئاً بَعْدَ الَّذِي سَمِعَتْهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ فِي
أَنَّهُ مَا شَغَلَهُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي شَغَلَهَا، فَقَدْ قَالَ
لَهَا هَذَا الْكَلَامَ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَه بِحُضْرَةِ بَعْضِ
الْأَصْحَابِ، حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا حُجْرَتُهَا مِنْ قَرِيبٍ وَقَالَ: السَّلَامُ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَأَجَابَتْهُ السَّيِّدَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ:
وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَبُو هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ:
إِنَّكَ أَكْثَرْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ!! وَلَمْ يَسْكُتْ أَبُو هُرَيْرَةَ
فَأَجَابَهَا بِجَوَابِهِ الَّذِي كَانَ مِنْ قَرِيبٍ قَالَه لَهَا: (إِي وَاللَّهِ يَا أُمَّاهُ،
مَا كَانَتْ تُشْغِلُنِي عَنْهُ الْمَرْأَةُ وَلَا الْمُكْحَلَةُ وَلَا الْمُذْهَنُ).

وتضحك السيدة لجوابه وتقول: لعله.

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاثِقاً مِنْ حِفْظِهِ، يَدْفَعُهُ إِلَى التَّحْدِيثِ حُبُّ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَحُبُّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ جَمِيعاً، وَالْخَشْيَةُ مِنْ كِتْمَانِ الْعِلْمِ.
وَكَانَ يَخَافُ مِنْ آيَتَيْنِ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَيَذْكُرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ يَخَافُ
مِنْهُمَا فَيَقُولُ:

(والله ، لولا آيتان من كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا
بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ
وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

— ٦ —

ولغظ بعض الناس أمام عبد الله بن عمر في إكثار أبي هريرة
من التحديث، ووقر في قلب ابن عمر شيء على أبي هريرة،
وجعل يتسمع لأحاديثه، لا سيما تلك التي يرويها يوم الجمعة،
فلا يجد ممسكاً عليه، ولا يجد منه إلا حفظاً متيناً، وفقهاً
صحيحاً، فيتبدد ما وقر في نفسه إلا أشياء صغيرة بقيت تنتظر ما
يُزيلها تماماً.

وجاء أوان ذلك، فقد سمع ابن عمر أبا هريرة يحدث مرة
الناس بهذا الحديث ويرفعه إلى النبي ﷺ :

«من تبع جنازةً فصلَّى عليها فله قيراط، فإن شهد دفنها فله
قيراطان، القيراط أعظم من أحد».

واستعظم ابن عمر ما سمع، وبعد انتهاء أبي هريرة

من تحديته انتحى به جانباً وقال له : أبا هريرة انظر ما تحدث عن رسول الله ﷺ !! .

فقال له أبو هريرة : والله ما أحدث إلا بما سمعتُ، ثم أمسك بيد ابن عمر وانطلق به إلى حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ، وقال لها : يا أمَّ المؤمنين أنشدك بالله، أسمعيت رسولَ الله ﷺ يقول : «مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً، فَصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ شَهِدَ دَفَنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانٌ»؟ فقالت : اللهم نعم .

وأشرق وجهُ أبي هريرة سروراً واتَّجه إلى ابنِ عمر وقال له : يا أبا عبد الرحمن، إنه لم يشغلني عن رسول الله ﷺ غرسٌ بالوادي، وصَفَقُ بالأسواق، إني إنما كنت أطلبُ من رسول الله ﷺ كلمةً يعلمُنيها أو أكلةً يطعمُنيها . ولم يجد ابن عمر إلا أن يشهد له، فقال له : أنت يا أبا هريرة كنتَ ألزَمَنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه . ثم انطلق يضربُ كفّاً على كفّ يلوُمُ نفسه ويقول :

لقد فرطنا في قراريط كثيرة !! .

وتبدّد كلُّ شيءٍ في قلب ابنِ عمرَ على حفظِ أبي هريرة وتحديثه، وعَرَفَ أَنَّ الرجلَ متينُ الحفظِ صادقُه، وأنه قد سبقهم جميعاً في هذا المضمار .

وجاءه رجل في يوم يقول له : يا أبا عبد الرحمن، هل تنكر

مما يحدث أبو هريرة شيئاً؟! فقال له: لا، ولكنه اجتراً وجَبْنًا.
 وفَرَحَ الرجل بشهادة ابن عمر - وهو الصحابيُّ الجليل والعالم
 الكبير - لأستاذهم أبي هريرة، وَقَامَ مِنْ تَوَّهِ يُخْبِرُهُ بشهادة ابن
 عمرَ له، فيقول أبو هريرة وهو يضحك:
 فما ذنبني؛ إِنْ حَفِظْتُ ونَسُوا؟!.

— ٧ —

كانت المدينة المنورة أحبَّ بلادِ الله إلى أبي هريرة، وكان
 يُؤثِّرُ الإقامةَ فيها على غيرها؛ يَبْدَأُ أنه كانت تتوقُّ نفسه للحجِّ إلى
 بيتِ الله الحَرَامِ، وكان يحبُّ أن يزورَ بعضَ الأمصار الإسلامية،
 كي ينشرَ فيها علمه، ويذيعَ حديثَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام.
 وكان يُثقله عن الارتحال - بالإضافة إلى إشاره المدينة على
 غيرها - أمُّه، فقد طالت بها الحياة، وكان باراً بها، يَرْعَى حَقَّها،
 ويزورها كلَّ يوم فيقول لها: جزاك الله يا أمُّ خيراً كما ربَّيتني
 صغيراً، فتجيبه هي: جَزَاكَ اللهُ يا بُنَيَّ خيراً كما برَّرتني كبيراً.

واستمرَّ ملازماً لمدينة النبي عليه الصلاة والسلام لا يبارحها
 إلى أن ماتت أمُّه، عندها انطلق أبو هريرة في بلاد الإسلام،
 وطوَّفَ في أمصار عديدة، فزارَ الكوفةَ والبصرةَ ودمشقَ وغيرها،
 وحدثَ في كلِّ مكانٍ حلَّ فيه، واجتمع عليه النَّاسُ في كلِّ بلدٍ

وَصَلَّه، واحتفلوا به، وأفادهم من علمه. يقول مكحول: تواعدَ الناسُ ليلةً إلى قُبَّة من قباب معاوية، فاجتمعوا فيها، فقامَ فيهم أبو هريرة يحدثُهم عن رسولِ الله ﷺ حتى أصبحَ الناسُ.

ولقد كان أبو هريرة يحضر معظمَ مواسمِ الحج. بعد وفاة أمِّه، وكان يلتقي في الموسم بطلاب العلم وبمحبِّي الحديثِ النبوي، فيستغلُّونَ هم تلكَ الفرصة فيلازمونه، ولا يتركونه إلا بعد أن يتزوّدوا بزادٍ طيبٍ من العلم.

ولم يترك أبو هريرة ممَّا وعاه عن رسولِ الله ﷺ شيئاً إلا حدَّثَ به، إلا باباً واحداً من أبواب العلم أبقاه مغلقاً، ورأى — يبعدُ نظره — رَجَاحَةَ عقله — أن لا يحدثَ الناسَ شيئاً من أحاديثِ هذا الباب، فقد كانت أحاديثُه في الفتن، ولقد كان فيها نبوءاتٌ قد تحقَّقتْ، ونبوءاتٌ لم تتحقق بعدُ، وقد يصعب على الناس تصوُّر وقوعها، فخشي أبو هريرة أن لا يصدِّقوها، فيعرِّض حديثَ النبي عليه الصلاة والسلام للتكذيب.

وأعلنَ مراراً أمامَ الناس أن عنده علماً لم يحدثُهم به وأن ما حدثهم به ليس كلُّ ما عنده من علم! كان يقول لهم:

(حفظتُ من رسولِ الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فَبَشَّتُهُ في الناس، وأما الآخر فلو بَشَّتُهُ لَقُطِعَ مِنِّي هذا البلعوم).

وكان يقول لهم أيضاً: (رُبَّ كَيْسٍ عِنْدَ أَبِي هَرِيرَةَ،
لَمْ يَفْتَحْهُ).

وَفُطِنَ لِكَلَامِ هَذَا الْحَبْرِ الْجَلِيلِ فِيمَا بَعْدَ أَثْمَةِ الْإِسْلَامِ،
وَفَهَمُوا مَرْمَاهُ، فَهَذَا الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ يَقُولُ مَعْلُقاً عَلَى كَلَامِهِ:

قُلْتُ: (هَذَا دَالٌّ عَلَى جَوَازِ كُتْمَانِ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَحَرَّكَ
فِتْنَةٌ فِي الْأَصُولِ أَوِ الْفُرُوعِ، أَوِ الْمَدْحِ أَوِ الذَّمِّ، أَمَا حَدِيثٌ يَتَعَلَّقُ
بِحَلٍّ أَوْ حَرَامٍ، فَلَا يَحِلُّ كُتْمَانُهُ بِوَجْهِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى.
وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَوْلُ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (حَدَّثُوا
النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَدَعُّوا مَا تُنْكِرُونَ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ!!) وَكَذَا لَوْ بُثِّ أَبُو هَرِيرَةَ ذَلِكَ الْوَعَاءُ الْأَوْذِيُّ، بَلْ لَقُتِلَ،
وَلَكِنَّ الْعَالَمَ قَدْ يُوَدِّيهِ اجْتِهَادُهُ إِلَى أَنْ يَنْشَرَ الْحَدِيثَ الْفُلَانِيَّ إِحْيَاءً
لِلسُّنَّةِ، فَلَهُ مَا نَوَى وَلَهُ أَجْرٌ، وَإِنْ غَلَطَ فِي اجْتِهَادِهِ).

وَهَذَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ يَقُولُ: (وَهَذَا الْوَعَاءُ الَّذِي كَانَ
لَا يَتَظَاهَرُ بِهِ هُوَ الْفِتْنُ وَالْمَلَا حَمٌ، وَمَا وَقَعَ بَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْحُرُوبِ
وَالْقِتَالِ وَمَا سَيَقَعُ، الَّتِي لَوْ أَخْبِرَ بِهَا قَبْلَ كَوْنِهَا لِبَادَرٍ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
إِلَى تَكْذِيبِهِ، وَرَدُّوْا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، كَمَا لَوْ قَالَ: لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ
أَنْكُمْ تَقْتُلُونَ إِمَامَكُمْ وَتَقْتُلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالسَّيْفِ
لَمَا صَدَّقْتُمُونِي).

وقال الإمام ابن حجر عن ابن المنير شارح البخاري : (أراد أبو هريرة بقوله : (لَقُطِعَ هذا البلعوم) : أي قَطَعَ أهل الجَوْر رأسه إذا سَمِعُوا عَيْبَهُ لِفَعْلِهِمْ وتَضْلِيلَهُ لِسَعِيهِمْ). وقال غيره — أي غير ابن المنير — : (يَحْتَمَلُ أن يكون أراد مع الصنف المذكور ما يَتَعَلَّقُ بأشراط الساعة وتَغْيِيرِ الأحوال والملاحم في آخر الزمان، فينكر ذلك من لم يَأْلَفْهُ، ويعترض عليه من لا شعور له به).

— ٨ —

كَثُرَ الْوَافِدُونَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ مِنْ أَجْلِ سَمَاعِ الْحَدِيثِ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَثُرَ تُلَّابُهُ وَالْأَخْذُونَ عَنْهُ، حَتَّى بَلَغَ عَدْدُهُمْ ثَمَانِمِائَةً، كَانَ مِنْهُمْ عَدَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ : كَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَوَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ. وَكَانَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ سَادَةِ التَّابِعِينَ : كَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ — الَّذِي زَوَّجَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ابْنَتَهُ —، وَمُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِي، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

وَلَفَّتَ هَذَا نَظَرَ أَمِيرِ الْمَدِينَةِ مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ (مُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ) ؛ فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَمْتَحَنَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ حِفْظِهِ الَّذِي

يَدُّعِيهِ، وَمِنْ قَوْلَيْهِ الَّتِي كَانَ يُكْثِرُ مِنْ تَرْدَادِهَا: (مَا ذَنْبِي إِنْ حَفِظْتُ وَنَسُوا).

وقال مروان لكاتبه أبي الزُّعَيْرَةِ - وكان كاتباً فطناً - : أريد أن أمتحن أبا هريرة، وأريدك أن تجلس وراء ستر في غرفة جلوسنا، وأسأل أنا أبا هريرة وأسْأْرويه الحديث، وأنت تسجل كلامه تاماً، وأجاب الكاتب: سمعاً وطاعة.

وَدَّعِي أَبُو هَرِيرَةَ إِلَى مَرُوان - وكان يدخل عليه من قبل - فجعل مروان يسأله: ماذا قال رسولُ الله ﷺ في كذا وكذا، وماذا حدَّثكم عن كذا، وماذا قال يوم كذا، وماذا قال لفلان، وأنبري أبو هريرة يُجِيبُهُ وكأنه يقرأ من كتابٍ أمامه، وجعل أبو الزُّعَيْرَةِ يكتب كل ما يقوله أبو هريرة. وانتهى الامتحان، وانصرف أبو هريرة وهو لا يدري بما جرى.

ومضى عام، واستدعى مروانُ أبا هريرة، وأجلس أبا الزُّعَيْرَةَ خلف السُّتْرِ، وقال لأبي هريرة: نريد أن تحدثنا ببعضِ حديثِ رسولِ الله ﷺ، فقال أبو هريرة: ليسأل الأمير وأنا أحدثه، فجعل مروان يلقي عليه الأسئلة التي ألقاها منذ عام، ولكنه قدَّمَ وأخَّرَ، وجعل أبو هريرة يجيب، وأبو الزُّعَيْرَةِ ينظر فيما كتبه، فرأى أنه لا يزيد ولا ينقص. وفَظَنَ أبو هريرة للأمر، فقال لمروان: إِنَّكَ

سَأَلْتَنِي أَنْ أُحَدِّثَكَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ فِيمَا مَضَى ! فَأَجَابَهُ مَرْوَانُ :
نَعَمْ ، وَإِنَّمَا فَعَلْنَا مَا فَعَلْنَا نَرِيدُ اخْتِبَارَكَ . وَصَاحَ مَرْوَانُ : أَخْبِرْنِي !
فَأَجَابَهُ : وَخَرَجَ أَبُو الزُّعَيْرَةِ ، فَقَالَ مَرْوَانُ : أَخْبِرْنِي ! فَأَجَابَهُ : وَاللَّهِ
— أَيُّهَا الْأَمِيرُ — مَا زَادَ وَلَا نَقَصَ ، وَلَا قَدَّمَ وَلَا أَخَّرَ عَنْ حَدِيثِهِ
السَّابِقِ . وَضَحَكَ مَرْوَانُ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ لِمَرْوَانُ :

(لَقَدْ صَحَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَنِينَ لَمْ أَكُنْ فِي شَيْءٍ أَحْرَصَ
مَنِي أَنْ أَحْفَظَ شَيْئاً فِي تِلْكَ السَّنِينَ . . . وَمَا كُنْتُ فِي سَنَوَاتٍ قَطُّ
أَعْقِلَ مَنِي وَلَا أَحَبَّ أَنْ أَعِيَ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنِي فِيْهِنَّ .
وَلَقَدْ دَعَا لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَوَاللَّهِ مَا أَحَدَّثَكُمْ
بِكُلِّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَرُبَّ كَيْسٍ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ
لَمْ يَفْتَحْهُ) .

أمير المدينة

— ١ —

عَرَفَ المسلمون في شتى أمصارهم فَضْلَ أَبِي هريرة، لا سيما أهل المدينة فقد كان المَعْلَمَ الأولَ لهم، وقد مضى على انصرافه لتعليمهم ما يزيد على ثلاثين عاماً، وكان يؤمُّهم في الصلاة في بعض الأحيان، وقد سَمَتُ منزلته عندهم فأصبحَ من أهمِّ الصحابة شأناً، وأكثرَ النَّاسِ مِنْ ذِكْرِهِ والثناءِ عليه.

وقد حلَّ في نفس مروان بن الحكم — أمير المدينة لمعاوية — بالمحلِّ السَّامي، فقد أُعْجِبَ بحفْظِهِ وَوَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ، فجعل يسأله عما يَحْدُثُ له، ويستفتيه في المسائل، ويأخذ باجتهاده. ثم دفع إليه ولديه: عبد العزيز وعبد الملك ليفقَّههما.

وممَّا زاد منزلة أبي هريرة في نفس مروان أنه كان عالماً صادقاً في علمه، مخلصاً في عمله، لا يبتغي غير وجه الله، لذا كان جريئاً في قولة الحق لا يخشى لومة لائم، حتى لقد أمر مروان بالمعروف ونهاه عن المنكر، ووعظه غير مرة غير هيَّابٍ ولا وَجَلٍ.

يقول أبو مريم موله: (مرّ أبو هريرة بمروان وهو يني داره التي في وسط المدينة، فجلستُ إليه والعمال يعملون، فقال: ابنوا شديداً، وأملّوا بعيداً، وموتوا قريباً. فقال مروان: إنّ أبا هريرة يحدث العمال، فماذا تقول لهم يا أبا هريرة؟ فقال: قلت: ابنوا شديداً، وأملّوا بعيداً، وموتوا قريباً. يا معشر قريش، يا معشر قريش، اذكروا كيف كنتم أمس، وكيف أصبحتم اليوم تُخدمون، أرقاؤكم فارس والروم! كلوا خبز السّميد واللحم السمين، لا يأكل بعضكم بعضاً، ولا تكادّموا تكادّم^(١) البراذين^(٢)، كونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً، والله لا يرتفع منكم رجلٌ درجة إلا وُضعه الله يوم القيامة).

ولقد دخل على مروان داره ثانية وهي تُبنى، فرأى فيها تصاوير، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يقول الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرّة، أو فليخلقوا حبة، أو فليخلقوا شعيرة».

وذهب إلى مروان في دار الإمارة، فقال مروان للبواب: انظر مَنْ

(١) تكادّم البراذين: إذا عضّ أحدهما صاحبه، والكَدْمُ أثر العضّ.

(٢) البرَدُون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال، وهو عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر، جمعه برَاذين.

بالباب؟ فقال: أبو هريرة، فأذن له، فقال: يا أبا هريرة حدثنا شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، فقال أبو هريرة:

(سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ليوشك رجلٌ أن يتمنى أنه خراً من الثرياً ولم يل من أمرِ الناسِ شيئاً»).

هذه المواقف من أبي هريرة، بالإضافة إلى علمه وفقهه، جعلت منزلته عند مروان كبيرة، وجعلته ينييه عنه في إمرة المدينة سنة أربع وخمسين، حينما كلّفه معاوية بن أبي سفيان بإمرة الحج لهذا العام، وصعد مروان المنبر يوم الجمعة، وأبلغ أهل المدينة بقراره في استخلافه أبا هريرة مكانه، فاستقبل الناس هذا القرار بارتياح وسرور.

— ٢ —

فرح أهل المدينة بإمرة أبي هريرة، فقد كانوا يحبونه حباً عظيماً، وكان يعجبهم حسن خلقه وسيرته. وقام هو بأعباء الإمارة خير قيام، فصلّى للناس إماماً، وخطبهم يوم الجمعة، وقضى لهم، وفضّ خصوماتهم، وسأسأهم بالعدل، وعاش بينهم كواحد منهم، ولم تغيّر الإمرة عن خلق كان عليه، بل لقد رأى منه الناس أشياء جعلوا يذكرونها له بالإكبار والإجلال، لأنها تنم عن عظيم

تواضعه وعن سمو نفسه واستصغاره للمنصب والجاه، وعن صفاء نفسه، وحُسن خُلُقِه، وجميلِ دعابته وسخريته من زينة الحياة الدنيا، وشكره نعمة الله عليه.

فقد أُقيمت الصلاة يوماً في مسجد النبي ﷺ، وتقدّم أبو هريرة فصلّى بالناس إماماً، حتى إذا سلّم راع الناس أنه التفت إليهم ورفع صوته قائلاً: (الحمدُ لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً بعدما كان أجيراً لابنة غزوان على شَبَع بطنه وحمولة رجله. والله يا أهل الإسلام؛ إن كانت إيجارتي معهم إلا على كسرة يابسة، وعقبة في ليلة غبراء مظلمة، ثم زوجنيها الله).

ولقد كان يركب في بعض الأحيان حماراً قد شدّ عليه بَرْدَعَةٌ^(١)، وفي رأسه خُلْبَةٌ ليف^(٢)، فيسير في شأنه في طرقات المدينة، فإذا لقي رجلاً، قال له مازحاً: الطريق، قد جاء الأمير. وكان يحمل على ظهره حزمة الحطب ويمر في الطريق، فيقول لمن واجهه مازحاً: الطريق، قد جاء الأمير!! يقول ثعلبة بن أبي مالك القرظي: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير

(١) البرْدَعَةُ: ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه، كالشُرَج للفرس.

(٢) أي حبل رقيق صلب من الليف.

يا ابن أبي مالك، فقلت له: يكفي هذا، فقال: أوسع الطريق
للأمير، والحزمة عليه.

وكان يدعو أبا رافع - أحد أصحابه - إلى عَشَائِهِ بالليل،
حتى إذا وَضَعَ الطعام نظر أبو هريرة إلى أبي رافع وقال له:
يا أبا رافع دع العُراق (العظم الذي عليه شيء من لحم) للأمير،
ويظنُّ أبو رافع أنَّ في الطعام عُراقاً، فينظر، فإذا هو ثريد بالزيت،
ويضحك أبو رافع ملء فيه، ويقول له: ما أكثر ما تحبُّ أن تمزحَ
يا أبا هريرة.

وتقدم إليه ذات يوم شاب بعدما خرجوا من المسجد، فقال
له: لِمَ كُنَّيتَ أبا هريرة؟ ونَظَرَ فيه أبو هريرة وقال له: أما تَفَرِّقُ
مني؟ فأجابه: بلى والله، إني لأهابك. وهنا ضحك أبو هريرة وقال
له: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي هريرة صغيرة، فكنت
أضعها بالليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبْتُ بها معي، فلعبت
بها، فكنُّوني أبا هريرة.

وحتى الصبيان الصغار كان لهم نصيبٌ من حسن خُلُقِ هذا
الأمير وتواضعه ومزاحه، فقد ذكروا أنه رُبُّمَا أتى الصبيان وهم
يلعبون بالليل لعبة الغراب، فلا يشعرون بشيء، حتى يُلقِي نفسه
بينهم، ويضرب برجله - يريد أن يضحكهم - فيفزع الصبيان
ويفرون.

أناب مروان أبا هريرة عنه مَرَّتَيْنِ في إمرة المدينة المنورة،
 وقربَه وأَجَزَلَ له العطاء لعلمِه وفضْلِه، وكذا كان معاوية يكرمه
 ويرسلُ له العطاء من دِمَشقَ . ولكنه — وهو العالمُ الصادقُ المبتغي
 بعلمه وجهَ الله والدارَ الآخرة — لم يكن ليسكتَ عن أمور كان
 يفعلها مروان، إذا ما وجد فيها مخالفةً للإسلام . لقد كان ينكر
 بعضاً من تصرفاته فيتراجع عنها، وأحياناً يصل الأمر بمروان إلى
 حدِّ الغضب، فلا يجد من أبي هريرة إلا الصلابة في الحق .

فقد دخل عليه يوماً دار الإمارة وقال له : أُحِلَّتْ بيع الرِّبَا؟!
 فقال مروان : ما فعلت . فقال أبو هريرة : أُحِلَّتْ بيع الصُّكَّالِ^(١) ،
 وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن بيعِ الطعام حتى يُستوفى . وتراجع
 مروان، وقام فخطبَ الناسَ، فنهى عن بيعها، وقام الحرس
 يأخذونها من أيدي الناس .

وكان معاوية ربما خَلَعَ مروان عن إمرة المدينة واستبدل غيره
 به، لكنه كانت تبقى له مكانته الكبيرة، وجأه في نفوسِ الناس،
 لا سيما قومه بني أمية، فقد كان كبيرهم وزعيمهم . أما أبو هريرة

(١) المراد أن مروان أحلَّ بيع ما لم يقبض .

فكان موقفه منه موقفَ الناصح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في كلتا الحالتين: في إمرته وحال بُعده عن الإمارة.

وحين مات الحسن بن علي رضي الله عنهما - وكان مروان
يومها معزولاً من الولاية - خرجت المدينة كلها تشييعه، وتقدم
الجميع مروان بن الحكم، وأراد طائفة من بني هاشم دفن الحسن
في الحُجْرَةِ النبوية، فمنعهم من ذلك مروان - وكانت له كلمة
مسموعة - فراجعوه في ذلك فلم يقبل؛ وكثر اللغط، وبيننا الناس
على هذه الحال، أقبل أبو هريرة على مروان مُغْضَباً وصاح فيه:
(والله ما أنت بِوَالٍ، وإنَّ الوالي لغيرك، فدعه، لكنك تدخل فيما
لا يعينك، إنما تريد بهذا إرضاء من غاب عنك - يريد
معاوية -).

وسمع جمهورُ الناس كلامَ أبي هريرة لمروان، وغضب
مروان غضبةً شديدةً وقال: يا أبا هريرة، إنَّ الناس يقولون: إنك
أكثرَ على رسول الله ﷺ الحديث، وإنما قَدِمْتَ قبل وفاة
النبي ﷺ بيسير!!.

وردَّ عليه أبو هريرة قائلاً: نعم. قَدِمْتُ ورسول الله بخير سنة
سبع، وأنا يومئذ في الثلاثين، وأقمت معه حتى توفي، أدور معه
في بيوت نسائه وأخدمه، وأنا والله يومئذ مُقِلٌّ، وأصلي خلفه وأغزو
معه، فكنت - والله - أعلم الناس بحديثه.

قد - والله - سبقني قومٌ بصحبته والهجرة إليه من قريش
والأنصار، وكانوا يعرفون لزومي له، فيسألوني عن حديثه، منهم:
عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فلا والله ما يخفي عليَّ كلُّ
حديث كان بالمدينة، وكلُّ من أحبَّ اللهَ ورسولَه، وكلُّ من كانت
له عند رسول الله ﷺ منزلة، وكل صاحب له... إني أسلمتُ
وهاجرتُ اختياراً وطَوْعاً، وأحببتُ رسولَ الله ﷺ حباً شديداً، وأنتم
أهل الدار، وموضع الدعوة، أخرجتم الداعي من أرضه، وآذيتموه
وأصحابه، وتأخر إسلامكم عن إسلامي!!.

وأُسكت مروان، ولم يَنْبَسْ بِبُنتِ شَفة^(١)، وظلُّ من يومها
ساكتاً يقصر عن أبي هريرة ويتَّقِيه ويخافه ويخشى جوابه.

**

(١) أي لم تتحرك شفاته بشيء.

العابدُ التّقي

— ١ —

لئن كان العلم: طلبه وبثه، هو الميزة الكبرى لهذا الصحابيِّ الجليل، فهناك ميزةٌ أخرى له لا تقلُّ أبداً عن سابقتها، تلك الميزة هي تقوى الله عز وجل حقَّ تقاته، والاجتهاد العظيم في الطاعة والتقرب إليه سبحانه، والتخلُّق بالأخلاق الحسنة، والتجمل بالسيرة الحميدة. ولا عجب في ذلك فهذا ما تعلَّمه الأصحاب من رسول الله ﷺ، تعلموا العلم والعمل، وهذا ما يجدرُ بالعالم الصادق: أن يعملَ بعلمه، وأن يطبِّقه على نفسه، ليقتدي به غيره.

كان — رضي الله عنه — كثيرَ العبادة، كثيرَ التهجد، طويلَ الركوع والسجود، كثيرَ الاستغفار والتسبيح، عريضَ الدعاء، أواباً أواهاً، يصومُ الاثنين والخميس، ولا يدعهما.

كان يجزئُ الليلَ ثلاثةَ أجزاء: ينامُ ثلثه، ويقومُ ثلثه، ويتذكرُ في الثلث الآخر حديث رسول الله ﷺ.

وكان يوقظ أهله لقيام الليل . يقول أبو عثمان النهدي - وهو من كبار التابعين - : (تُضَيَّفُ أبا هريرة سَبْعاً، فكان هو وامراته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا).

وكان يستغفرُ اللهَ في اليوم الواحد ألفَ المرات كما روي عنه؛ ويكثر الدعاء ويقول: (إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ، وَأَعَجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدَّعَاءِ).

وكان يخرج هو وابن عمر إلى السوق أيامَ العَشرِ الأولى من ذي الحجة يكبران ويكبرُ الناس بتكبيرهما.

وكان يجتهدُ في الإتيان بركعتي سُنَّةِ الفجر ويوصي أصحابه بهما ويقول: (لا تَدْعُ رَكْعَتِي سُنَّةِ الفجر ولو طرقتك الخيل).

وكانت له أربعة مساجد: مسجدٌ في مخدعه، ومسجدٌ في بيته، ومسجدٌ في حجرته، ومسجدٌ على باب داره، إذا خرج صَلَّى فيها جميعاً.

وكان كثيرَ التلاوة للقرآن الكريم، لا سيما في الصلاة، شديدَ الاتِّباع لرسول الله ﷺ في صلاته، يقول أبو رافع: (صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ، فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فَسَجَدَ فِيهَا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذِهِ السَّجْدَةُ؟ فَقَالَ: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ).

أما الصوم فكان يصوم في كل شهرٍ ثلاثة أيامٍ عدا يومي الاثنين والخميس من كل أسبوعٍ، تطبيقاً لوحيّة رسول الله ﷺ له، فقد قال: (أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيامٍ من كل شهرٍ، وركعتي الفجر، وأن أُوترَ قبل أن أنام).

ولقد طالت فترة عُزوبيّته رضي الله عنه، وتأخّر في زواجه فخشيَ على نفسه الوقوع في الكبائر، فكان يدعو الله في سجوده أن يعصمه منها ليسلمَ له دينه، ولقد ذكروا أنه كان يتعوّذ في سجوده أن يزني، أو يسرق، أو يكفر، أو يعمل كبيرةً، ف قيل له: أتخاف ذلك؟ فقال: ما يؤمنني وإبليس حي!!.

ولا يكون الإنسان عابداً حقاً إلا إذا قرّن شكره بالعمل بشكر اللسان، ولا تسَل عن شكر أبي هريرة في هذا المجال، فكثيراً ما أسمع الناس أنه كان كذا وصار كذا، وكثيراً ما رفع صوته شاكراً على نعم الله المترادفة عليه، وكان يُكثر أن يقول:

(الحمد لله الذي هدني أبا هريرة للإسلام، الحمد لله الذي علّم أبا هريرة القرآن، الحمد لله الذي منّ على أبي هريرة بمحمد عليه الصلاة والسلام).

وأولى ثمرات التقوى والعبادة: الخلق الحسن، والسيرة الحميدة، وقد وهب الله أبا هريرة منهما الشيء الكثير. وأحق الناس بالمخالقة الحسنة: الأهل والأقارب والجيران والأصحاب، وقد كان أبو هريرة أبر الناس بأمه، ارتحل بها من بلاد اليمن إلى المدينة المنورة وصبر على شركها وعالجها كثيراً حتى أسلمت، ثم وقف نفسه على خدمتها حتى ماتت راضية عنه. وكان باراً بأولاده فأحسن تربيتهم، وكان باراً بمواليه، فعلمهم وأدبهم وأحسن إليهم، وكان باراً بجيرانه وأصحابه وإخوانه، مكرماً لهم، باشاً في وجوهمهم، يتلطف معهم، ويكلّمهم بأحسن الكلام. وكان باراً بالناس جميعاً، محبباً لهم، ناصحاً شفوياً، لذلك وقف نفسه على تعليمهم وتفقيهم، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، وتواضع لهم، ونثر عليهم من دعبته.

ولم يغتر هذا الخبر الجليل بعلمه وشهرته وجاهه، فلقد قال لابن عباس — وكان أصغر منه بكثير —: أنت خير مني وأعلم.

وكان كريماً منقياً، يقول الطفاوي: (تثويت أبا هريرة بالمدينة، فلم أر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أشدّ تشميراً، ولا أقوم على ضيف منه).

ويقول حُمَيد بن مالك بن خثيم : (كنت جالساً مع أبي هريرة بأرضه بالعقيق، فأتاه قوم من أهل المدينة على دوابٍّ، فنزلوا، قال حُمَيد: فقال أبو هريرة: اذهب إلى أمي وقل لها: (إِنَّ ابْنَكَ يُقْرِئُكَ السلام ويقول: أطعمينا شيئاً. قال: فوضعت ثلاثة أقراص من شعير، وشيئاً من زيت وملح في صفحة، فوضعتها على رأسي، فحملتها إليهم، فلما وضعته بين أيديهم كَبَّرَ أبو هريرة وقال: الحمد لله الذي أَشْبَعَنَا من الخبز بعد أن لم يكن طعامنا إلا الأسودان التمر والماء.

يقول حُمَيد: فلما انصرفوا قال: يا ابن أخي، أَحْسِن إلى غنمك، وامسح عنها الرُّعام - المخاط وما يسيل من أنوف الشاء - وَأَطْبِ مَرَايحَهَا وصلِّ في ناحيتها، فإنها من دواب الجنة. والذي نفسي بيده: يوشك أن يأتي على الناس زمان، تكون الثلَّة من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان).

ويقول أبو الزُّعَيْرَة كاتب مروان: (بعث مروان إلى أبي هريرة بمائة دينار، فلما كان بعدُ أرسل إليه، فقال: إنه ليس إليك بعثت وإنما غلطت، فقال: ما عندي منها شيء، وإذا خَرَجَ عطائي فاقتصره).

فقال: وإنما أراد مروان هل ينفقها أم يحبسها؟
وبذل ماله رضي الله عنه في إعتاق العبيد وفي تربية اليتامى.

ذكروا أنه كانت له زنجية قد أغمته بعملها، فرفع عليها يوماً السوط، ثم قال: لولا القصاص يوم القيامة لأغشيتك به، ولكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك أحوج ما أكون إليه، اذهبي فأنت حرة لله عز وجل.

وكان رحمه الله مَرِحاً يحبُّ النكتة. جاءه شاب فقال: يا أبا هريرة إني أصبحت صائماً، فدخلت على أبي فجاءني بخبز ولحم فأكلت ناسياً، فقال: طُعْمَةٌ أطعمكها الله لا عليك، قال: ثم دخلت داراً لأهلي، فجيء بلبن لقحة فشربته ناسياً، قال: لا عليك، قال: ثم نمت فاستيقظت فشربت ماءً، فقال له أبو هريرة: إنك يا ابن أخي لم تعتد الصيام!!.

— ٣ —

وحين أقبلت الدنيا على أبي هريرة رضي الله عنه، وكثر المال بين يديه، وليس الخز، وتحسنت أحواله، لم تفتنه الدنيا، ولم ينصرف إليها، بل كان زاهداً بها متطلعاً إلى الآخرة، ينهج نهج رسول الله وخلفائه الراشدين المهديين، وقد جعل من وصية رسول الله له دستوراً لحياته، فقد وصاه يوماً فقال له:

«يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن جوار

مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلُ الضُّحِكِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضُّحِكِ
تَمِيتُ الْقَلْبَ».

فعاش رحمه الله يرنو إلى الآخرة، غيرَ متطَلِّعٍ إلى الدنيا،
يستخفُّ بشهواتها وزينتها، ويذكر دائماً أنه سيُسأل في قبره،
وسيقف بين يدي ربه، وسيحاسبه على عمله.

كان — رحمه الله — يذكُرُ نفسه والناسَ كلَّ يومٍ مرتين بعذابِ
القبر، فكان يصيح عند الصباح: ذهبَ الليلُ وجاءَ النهارُ وعُرِضَ
آلُ فرعونَ على العذابِ، ويصيحُ عند المساء: ذهبَ النهارُ وجاءَ
الليلُ وعُرِضَ آلُ فرعونَ على العذابِ. فلا يسمعه أحدٌ إلا استعاذَ
باللهِ من النارِ.

وكانَ كلُّما رأى جنازةً يقول: روحوا فإننا غادون، أو اغدوا
فإننا راثون.

كان دائماً يذكر الحساب ويخافُ العقابَ ويזהد في الدنيا
ويقول للناس:

(لا تَغِطُنْ فَاجراً بنعمة، فإنَّ من ورائه طالباً حثيثاً طلبه:
جهنمُ؛ كلما خَبِتْ زِدْنَاهُمْ سَعيراً).

يَوْمُهُ الْأَخِيرُ

- ١ -

تَقَدَّمَ الْعُمَرُ بِالصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَجَاوَزَ الْكُهُولَةَ،
وَإِنَّهُ الْآنَ فِي الشَّيْخُوخَةِ، وَإِنَّهُ الْآنَ يَكَادُ يُنْهِي الْعَقْدَ الْخَامِسَ مِنْ
عَمْرِهِ الَّذِي عَاشَهُ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَقَدْ اِمْتَدَّ
بِهِ الْعَمَرُ بَعْدَ نَبِيِّ الْهُدَى، وَلَقَدْ وَدَّعَ كِبَارَ أَصْحَابِهِ وَمَشَى
فِي جَنَائِزِهِمْ، وَكَانَ آخِرَ جَنَازَةٍ مَشَى فِيهَا جَنَازَةُ السَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ
أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، فَقَدْ صَلَّى عَلَيْهَا سَنَةَ ٥٨ لِلْهِجْرَةِ وَشَيَّعَهَا إِلَى
مَثَوَاهَا الْأَخِيرَ رَحِمَهَا اللَّهُ .

وَمَرَضَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَشَعَرَ بِدَنُو أَجَلِهِ، بَلْ لَقَدْ اسْتَعْجَلَ هُوَ أَجَلَهُ،
وَجَعَلَ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ قَبْلَ سَنَةِ السِّتِينَ، وَسَاءَتْ صِحَّتُهُ،
وَدَبَّ الْوَهْنُ فِي سَائِرِ جَسَمِهِ، وَأَيَقَنَ أَنَّهُ مَرَضُ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ
سَيَفَارِقُ الدُّنْيَا .

وَشَاعَ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ كَبِيرَ عُلَمَاءِ

الإسلام في ذلك الزمان وحافظ الصحابة - أبا هريرة - قد مَرَضَ وأشرفَ على الهلاك، وأقبلَ النَّاسُ على منزله يعودونه، وتقاطَّروا عليه من كل مكان، وكلُّهم تمنَّى له العافية، وأن يمتدَّ به العمر، ليكسبوا منه جديداً من العلم، فقد كان عنده علم لا يَنْضَب، وكانت الحكمة تَتَفَجَّر من جوانبه.

دَخَلَ عليه تلميذه (أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف) فرأى أنَّ وجعَهُ شديداً، فأشفَقَ عليه، وسالت الدموعُ من عينيه، وأقبل عليه يحتَضِنُه ويقول: (اللهم اشفِ أبا هريرة)، لكنَّ أبا هريرة جعلَ يقول: اللهم لا ترجعها، اللهم لا ترجعها، ونَظَرَ إلى أبي سلمة وقال له بصوتٍ خافت: (إن استطعت أن تموتَ فمُتْ، والله الذي نفسُ أبي هريرة بيده ليأتينَّ على الناس زمانٌ يمرُّ الرجلُ على قبر أخيه فيتمنى أنه صاحبه).

ودخل عليه طائفة من أهل المدينة، فنظر في وجوههم، ثم أَجْهَشَ في البكاء، ورَقَّتْ لبكائه نفوسُهُم، وقال له أحدهم: ما يُبْكِيك يا أبا هريرة؟ فأجابه:

(أما إني لا أبكي على دُنْيَاكم هذه، ولكن أبكي لُبُعِدِ سفري وقِلَّةِ زادي. أصبحتُ في صعودٍ مَهْبِطُهُ على جَنَّةٍ أو نار، فلا أدري أيهما يُسَلِّكُ بي).

وَدَهَشَ الحَضُورَ لكَلِمَاتِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي امْتَلَأَ قَلْبُهُ
خَشْيَةً لِلَّهِ ، وَلَمْ يُفْتَنَ بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ ، وَكَانَ دَرْسًا بَلِيغًا
وِعِظَةً رَاضِيَةً .

وَدَعَا أَبُو هُرَيْرَةَ إِلَيْهِ أَوْلَادَهُ الْأَرْبَعَةَ : الْمَحْرُورَ ، وَمَحْرُزًا ،
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَبِلَالًا ، وَدَعَا إِلَيْهِ مَوَالِيَهُ وَصَهْرَهُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ ،
وَكِبَارَ تَلَامِيذِهِ ، وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا : (إِذَا مِتُّ فَلَا تَنْوَحُوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُنَحْ عَلَيْهِ) وَ (لَا تَضْرِبُوا عَلَيَّ فِسْطَاطًا ،
وَلَا تَتَّبِعُونِي بِمِجْمَرٍ ، وَأَسْرِعُوا بِي ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ : « إِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ : قَدَّمُونِي
قَدَّمُونِي ، وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ السَّوِيُّ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ : يَا وَيْلَهُ ؟ أَيْنَ
تَذْهَبُونَ بِي ») !! .

ثُمَّ بَكَى ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يَبْكُكَ ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ : « بُعْدُ الْمَفَازَةِ ،
وَقِلَّةُ الزَّادِ ، وَعَقْبَةُ كَثُودٍ » . ثُمَّ أَوْصَى أَوْلَادَهُ بِأَنْ يُعْطُوا دَارَهُ الَّتِي
فِي ذِي الْحُلَيْفَةِ لِمَوَالِيهِ ، وَأَنْ يُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ ، وَأَنْ يَبَرُّوهُمْ
وَيُكْرِمُوهُمْ .

وَجَاءَ صَبَاحُ الْيَوْمِ الْأَخِيرِ ، وَدَخَلَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ عَلَى
أَبِي هُرَيْرَةَ يَعُودُهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَقُولُ لَهُ : (شَفَاكَ اللَّهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ) ،
وَحَمَلَتْ أَبُو هُرَيْرَةَ بِنَازِرِيَّهَ وَأَدَارَهُمَا فِي أَعْلَى ، وَجَعَلَ يَقُولُ : (اَللَّهُمَّ
إِنِّي أَحَبُّ لِقَاءِكَ فَأَحَبُّ لِقَائِي) .

وَخَرَجَ مروان من عنده، وما هي إلا ساعة حتى كانت النهاية،
فَرَفَعَت الروحُ الْمُطْمَئِنَّةُ إلى بَارِئِهَا الكريمِ، وودَّع أبو هريرة هذه
الحياةَ الفانيةَ لِيَسْتَقْبَلَ حياةَ خالدةٍ هانئةٍ. وسَجَّلَ التاريخُ بخطِّ
عريضٍ حَدَثًا كَانَ من أْبْرَزِ أَحْدَاثِ عامِ تسعٍ وخمسين للهجرة،
سَجَّلَ التاريخُ :

(وفي هذه السنة مات صاحبُ رسولِ الله ﷺ وتلميذه النجيب
أبو هريرة الدَّوْسِيُّ اليمانيُّ، بعد حياةٍ حافلةٍ بالعلم والعبادة وصالحِ
الأعمال، وبكاءِ الناسِ جميعاً. وحزنوا عليه حزناً كبيراً).

— ٢ —

وَسُرَّعَانَ ما انتشرَ خَبْرُ وفاةِ أَبِي هريرة في مدينةِ النَّبِيِّ ﷺ
وضواحيها، فَتَرَكَ النَّاسُ أَعْمَالَهُمْ، وَهَرَعُوا جَمِيعاً إلى مَنْزِلِ
أَبِي هريرة بِذِي الحُلَيْفَةِ، وَتَجَشَّمُوا مَشَقَّةَ السَّيْرِ في حرارةِ
الشمسِ، وَحَمَلُوا سَرِيرَهُ، وَمَشَى النَّاسُ أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ خَاشِعِينَ
مُنْصِتِينَ، وَسَارُوا بِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ حَتَّى وَصَلُوا الْمَسْجِدَ
النَّبَوِيَّ، وَكَانَ يَتَقَدَّمُ موكِبَ التَّشْيِيعِ أَصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وَكِبَارُ
التَّابِعِينَ، وَكَانَ الصَّحَابِيَّانِ الْجَلِيلَانِ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو وَأَبُو سَعِيدٍ
الْخُدْرِيُّ يَمْشِيَانِ إلى جَوَارِ بَعْضِهِمَا، وَكَانَا يَكْثُرَانِ من
الترَّحُّمِ عَلَيْهِ.

وَصَلَّى النَّاسُ الْعَصْرَ، ثُمَّ قَدَّمُوا سَرِيرَ أَبِي هَرِيرَةَ، فَتَقَدَّمَ أَمِيرُ
الْمَدِينَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَالنَّاسُ خَلْفَهُ صَفُوفٌ قَدْ ضَاقَ
بِهِمُ الْمَكَانُ وَضَاقَتْ بِهِمْ أَفْنِيَةُ الْمَسْجِدِ، وَحَمَلَ أَوْلَادُ عُثْمَانَ بْنِ
عَفَانَ السَّرِيرَ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَسَارُوا فِي زَحْمَةِ النَّاسِ، وَهَنَّاكَ وَارَوْا
ذَلِكَ الْوَافِدَ الْجَدِيدَ فِي تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي حَوَتْ طَائِفَةً مِنْ
أَبْرَ النَّاسِ وَأَكْرَمِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَدْخَلَ أَبُو هَرِيرَةَ قَبْرَهُ، وَسَنَّ
النَّاسُ عَلَيْهِ التَّرَابَ، وَوَدَّعُوهُ بِالْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ. وَاسْتَقْبَلَتْ أَرْوَاحُ
أَهْلِ الْبَقِيعِ رُوحاً طَيِّبَةً فَرِحُوا بِهَا فَرَحاً كَبِيراً، وَفَرِحَتْ هِيَ الْآخَرَى
بِهِمْ فَرَحاً عَظِيماً.

في سِجِلِّ الْخُلُودِ

مضى أبوهريرة إلى ربّه بعد عُمرٍ حافلٍ بجلالِ الأعمال،
وبعد أن جَعَلَ منه الإسلامُ إنساناً كبيراً، ملأ الدنيا - في زمانه -
وبعد زمانه - وشغَلَ الناسَ، وكانَ من قَبْلُ راعيَ غنمٍ لا يَأْبَهُ له
أحد! فما كانَ أعظمَ ما صنعه الإسلامُ بهذه الأمة وبهؤلاء الرجال!
إنهم لولاه لماتوا وضاعوا ونسيهم التاريخ، ولكنه الإسلام الذي
به خُلِدُوا وبقيَ ذكرهم.

لقد كانَ أبوهريرة واحداً من نوابغِ الرجال وعظماءِ
المسلمين، لقد حدّدَ هدفَه منذ البداية، وسارَ في طريق الوصول
لهذا الهدفِ بِجِدٍّ ونشاط، وتحمّلَ في سبيله المشقّات الهائلة،
وأخيراً تحقّقَ الهدفَ وَوَصَلَ إلى الغاية.

لقد جَعَلَ نُصَبَ عَيْنِهِ في حياةِ النبي ﷺ أن يكونَ تلميذاً
نجيباً لرسول الله ﷺ، وعالماً فقيهاً بدين الله، فمضى يطلبُ العلمَ
من النبي عليه الصلاة والسلام ويعيه ويحفظه، وتحمّلَ من أجلِ

ذلك الجوع الشديد والفقر والفاقة، وأخذ عن رسول الله ﷺ علماً جماً مباركاً.

ولقد جعلَ نصب عينيه بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أن يبلغ هذا العلم الذي تعلّمه، وأن يقضي عمره في هذا المجال، ناصحاً لهذه الأمة، مُبيناً لها أحكام دينها، مطبقاً على نفسه ما تعلّمه، مُقتفياً سيرة النبي ﷺ في سيرته وسلوكه؛ فعاش ينشر العلم ويبلغه للناس، وتحمل من أجل ذلك نقد النقاد، واتهام المتهمين، وامتنح أكثر من مرة وكان من الفائزين. وكان العامل الكبير في نجاحه في الحالتين: في طلب العلم، وفي نشر العلم - مع الجِدِّ والاجتهاد - الإخلاص لله، والصُّدُق معه، وطلب مرضاته؛ فقد طلب العلم لله، وبذله لله، ولقد كانت الدارُ الآخرة هي همّه ومُبتغاه، فعاش حميداً ومات حميداً رحمه الله.

وإذا كان الأمرُ كما يقولون: (ألسنة الخلق أقلام الحق)، فلَكم كان حظُّ أبي هريرة عظيماً وفوزه كبيراً، فمنذ أن مضى إلى ربه وقبل ذلك وخيار هذه الأمة من علمائها وربانيّتها وفقهائها ومحدثيها يُشنون على هذا الرجل خيراً، ويذكرونه بالذكر الجميل.

● يقول سيد السادات وأفضلُ خلق الله محمد رسول الله ﷺ

موجَّهاً الخطاب لأبي هريرة: «لقد ظننتُ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولى منك؛ لما رأيتُ من حرصِكَ على الحديث».

● ويقول طلحة بن عبيد الله صاحب رسول الله ﷺ: (لا أشكُ أن أبا هريرة سمع من رسول الله ما لم نسمع).

● ويقول الصحابي الجليل ابن عمر: (أبو هريرة خيرٌ مني، وأعلم بما يحدث).

ويقول أيضاً مخاطباً أبا هريرة: (أنتَ كنتَ ألزَمَنا لرسول الله ﷺ، وأحفظُنا لحديثه).

● ويقول الإمام الجليل أبو عبد الله الشافعي: (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره).

● ويقول أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري: (روى عنه نحوُ الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظَ من روى الحديث في عصره).

● ويقول الإمام الذهبي: (أبو هريرة إليه المتهى في حفظ ما سمعه من الرسول عليه الصلاة والسلام وأدائه بحروفه... كان من أوعية العلم، مع الجلالة والعبادة والتواضع).

● ويقول الإمام ابن كثير: (كان أبو هريرة من الصُّدُق والحفظ

والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح ، على جانبٍ عظيم...
وروى عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب ، وكان من حُفَاطِ
الصحابة).

● ويقول شيخ الإسلام ابن حجر شارح البخاري : (إنَّ
أبا هريرة كان من أحفظِ من كل من يروي الحديث في عصره ،
ولم يأتِ عن أحدٍ من الصحابة كلُّهم ما جاء عنه).

ويكفي أبا هريرة فخراً ، ويكفيه ثواباً مُعْجَلاً — إن شاء الله —
أنَّ اسمَه قد سُجِّلَ أَلُوفَ المَرَّاتِ بل عَشْرَاتِ الأَلُوفِ في دواوين
الإسلام الكبرى ، وأنَّ ذكرَه يجري منذ أربعة عشر قرناً على ألسنة
أَلُوفِ العلماء وطلَّابِ العلم ؛ جزاءً ما حفظ لهم من حديث نبيِّهم ،
وما نَقَلَه لهم من كلماتِهِ المباركة .

وَلَيْتُنْ أَبْغَضَهُ قَوْمٌ لَهْوَى فِي نفوسهم ، وَلَيْتُنْ تَنَقَّصَهُ بعضُ مرضى
القلوب ، وصِغَارِ النفوس ، فما يضيره هذا ، فهو الطُّودُ الشَّامِخُ ،
وهم الأقزام الذين يحاولون المستحيل :

كناطحِ صَخْرَةَ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا
فلم يَضِرُّها وأوهى قرنَه الوِعْلُ

وأينَ هذا البُغْضُ وهذا التَّنْقِصُ من حُبِّ ملايين المسلمين
له ، وإجماع الأُمَّة على جلالَتِهِ وفخامَتِهِ؟! .

ولعلَّ في هذا البُغْضِ والتَّنْقُصِ زيادةَ أجرٍ لهذا الحَبْرِ الجليلِ
ينضاف لعمله وهو في عالم البرزخ.

فرحمَكَ اللهُ أبا هريرةَ رحمةً واسعةً، ورضيَ عنكَ، وغفرَ لك
ما تقدَّم من ذنبِكَ، ونضرَ وجهَكَ:

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨)

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
مُشْرِكُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴾ (١٢)

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَرَاجِع

- * الإصابة في تمييز الصحابة، الإمام ابن حجر العسقلاني .
- * البداية والنهاية، الإمام ابن كثير.
- * حياة الصحابة، الشيخ الداعية محمد يوسف الكاندهلوي .
- * دفاع عن أبي هريرة، الأستاذ عبد المنعم صالح العلي .
- * سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي .
- * صحيح البخاري، الإمام البخاري .
- * صحيح مسلم، الإمام مسلم .
- * المسند، للإمام أحمد بن حنبل .

*
**

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الشاب الدؤسي	٥
الفتى المسلم	٩
المؤمن المهاجر	٢٥
في صحبة النبي ﷺ	٤١
أمير البحرين	٩٩
الصحابي المعلم	١١١
أمير المدينة	١٣٩
العابد التقي	١٤٧
يومه الأخير	١٥٥
في سجل الخلود	١٦١

* * *

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com



تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم : دمشق : ص ب : ٤٥٢٣ ت : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية : بيروت : ص ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير

جدة : ٢١٤٦١ ص ب : ٢٨٩٥